
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
113
حرب الفيروسات
Looloo
www.dvd4arab.com
د. نبيل فاروق
الناشر:
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ البعث ..

ساد ظلام تام تلك البقعة الخالية ، عند الشاطئ الشرقى الأمريكى ، قبيل شروق شمس ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، وخيَّم عليها هدوء وسكون شبه تامَّين ، باستثناء صوت الأمواج ، التى تتكسَّر على الرمال ، قبل أن تنسحب فى حياء ؛ خشية إفساد اللوحة شبه الصامتة ، التى يزيِّنها هلال رفيع ، اتخذ ركنًا قصيًّا من السماء ، فى انتظار ضوء الصباح ؛ ليتوارى خلفه منسحبًا ، ويسعى خلف ليل جديد ، فى بقعة جديدة من العالم ..

ثم ظهرت تلك السيارة ..

لم تكن واحدة من السيارات الصاروخية ، التى انتشرت فى تلك الأيام ، وإنما سيارة بسيطة عادية ، يعود طرازها إلى نهايات القرن العشرين ، انطلقت فوق رمال الشاطئ بسرعة متوسِّطة ، دون أن تضىء مصابيحها الأمامية ، وكأن عينى صاحبها يمكنهما الإبصار ، وسط هذا الظلام ..

وبالقرب من صخرة كبيرة ، توقَّفت السيارة ، واستدار سائقها بمنظاره المجهَّز للرؤية الليلية ، يلقى نظرة سريعة على لافتة ضخمة ، معلَّقة فوق الصخرة ، حاملة عبارة تحذيرية تقول :

- خطر .. منطقة غير صالحة للسباحة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة شبه ساخرة ، قبل أن يخرج من جيبه بطاقة صغيرة ، فى حجم بطاقات الائتمان ، ويضغط أحد طرفيها ، متمتمًا :

- ربما تكون المنطقة غير صالحة للسباحة بالفعل ، ولكن من المؤكد أنها تصلح لأغراض أخرى عديدة .

قبل أن ينتهى من عبارته ، كانت شفرة الأمن السرية قد استجابت للإشارة الخاصة ، التى انبعثت من جهاز بث بالغ الدقة ، فى قلب بطاقته ، وأشعلت جهازًا خفيًا ، جعل الصخرة الضخمة تنشقَ من منتصفها ، كاشفة فجوة كبيرة ، انطلق الرجل عبرها بسيارته ، ولم تكد الصخرة الزائفة تلتقى ثانية من خلفه ، حتى أضىء أمامه ممر طويل ، فانتزع منظاره الخاص ، وألقاه فى جيبه ، وهو ينطلق بالسيارة عبر الممر ، مغمغمًا :

- إجراء سخيف وممل .. سأوصى بإجراء أكثر سرعة فى المستقبل ، يحافظ على السرية بنفس الدرجة ، دون أن يرفع ضغط دمنا(*) إلى درجة قاتلة .

كان الممر ينخفض تدريجيًا ، على نحو لا يشعر به الراكب ، حتى ينتهى إلى قاعة كبيرة ، على عمق عشرين مترًا ، أوقف الرجل فيها سيارته ، ووثب منها فى رشاقة ، وهو يقول لرجال الحراسة فيها :

- صباح جميل أيها السادة .. لدىَّ موعد عاجل مع الرئيس .

أجابه أحدهم فى آلية ، وهو يفحصه بجهاز صغير ، أشبه بالمطرقة :

- نعلم هذا .

كان الرجل يشعر بالملل ، مع الوسائل المتعدِّدة

(*) ضغط الدم : القوة التى يدفع بها الدم جدران الأوعية الدموية ، وسببه الرئيسى انقباض القلب ، الذى يدفع كمية جديدة من الدم ، فى الشرايين الممتلئة .

لفحص الزائرين ، إذ إنه يخضع لكشف بأشعة (رونتجن)(*) ، والأشعة دون الحمراء(**) ، وفوق البنفسجية(***) ، ولفحص بصماته ، وتوزيع مسامه العرقية ، ثم فحص بصمة قزحيته(****) ، قبل أن يُسمح له بعبور تلك القاعة إلى أخرى ، تتصل بمكتب الرئيس مباشرة ، إلا أنه كان يدرك جيدًا - بحكم طبيعة عمله وخبرته - أن هذا أمر حتمى ، للحفاظ على سرية المكان ، وأمنه ، وأمانه ..

(*) أشعة (رونتجن) : أشعة كهرومغنطيسية نفاذة ، كشفها (فيلهلم رونتجن) ، تستخدم خاصية تفاوت نفاذها فى المواد المختلفة ، لإعطاء صورة ظلية لأعضاء الجسم الداخلية .

(**) الأشعة تحت الحمراء : أشعة كهرومغنطيسية ، تقع أطوال موجاتها بين (١٠٠٠ ميكرون) و (٠,٧٥ ميكرون) ، من أهم خصائصها نقل الطاقة الحرارية ، والتأثير فى ألواح فوتوجرافية خاصة ، كما تؤثر فى الخواص الكهربية لبعض السطوح شبه الموصلة .

(***) الأشعة فوق البنفسجية : أشعة كهرومغنطيسية ، تقع أطوالها بين (٤٠٠٠ أنجستروم) ، و(٤٠٠ أنجستروم) ، وهى أشعة غير مرئية ، تمتص فى سهولة ، والجرعات الزائدة منها ضارة بالأنسجة الحية .

(****) القزحية : هى الجزء الملون من العين ، والذى يحوى البؤبؤ فى منتصفه .

ولكن الأمر لم يكن يستغرق - فى المعتاد - أكثر من دقائق معدودة ، اصطحبه بعدها أحد رجال الحراسة إلى مكتب الرئيس ، الذى استقبله باهتمام بالغ ، يشفَ عن أهمية الأمر وخطورته ، وهو يقول :

- صباح الخير يا (سام) .. هيا .. اجلس .. فلدينا حديث طويل .

جلس (سام بالدويل) ، رجل المخابرات الأمريكى الفذ ، على المقعد المواجه لرئيسه ، الذى تابع بنفس الاهتمام :

- قل لى يا (سام) : هل تابعت أخبار ذلك الفيروس المصرى ؟

أومأ (سام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد .. لقد شاهدت كل ما أذاعته وكالات الأنباء ، حول ذلك الحادث ، فى مؤتمر الإعلاميين .

تنهَّد الرئيس ، قائلاً :

- عظيم .. أنت تعلم إذن أن المصريين لديهم فيروس بالغ القوة والخطورة ، يمكن اعتباره أبشع سلاح بيولوجى عرفه التاريخ ، منذ بدء الخليقة ، وهذا يعنى أنهم أصبحوا قوة لا يستهان بها فى هذا المجال .

أجابه (سام) فى حزم :

- وأنهم خرقوا معاهدة منع الأسلحة البيولوجية أيضًا .

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً :

- هذا أمر ستتمَ مناقشته فى المحافل الدولية ، وسيستغرق وقتًا طويلاً ، لإثبات سوء النية بشأنه ، ولكنه أمر لا يعنينا فى الوقت الحالى .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى صرامةَ :

- كل ما يهمنا الآن ، هو أن نحصل على عينة من ذلك الفيروس .

تألَّقت عينا (سام) ، وهو يتمتم :

- فهمت .

ولكن رئيسه تابع فى حزم ، وكأنه لم يسمعه :

- فمهما كانت تبريرات المصريين ، لن يمكننا أن نثق قط بصدق نواياهم ، بعد أن أنتجوا فيروسًا كهذا ، وتجاربنا علمتنا أن الوسيلة الوحيدة للتصدَى للقوة ، هى القوة نفسها ، وما دام لديهم مثل هذا السلاح البيولوجى الرهيب ، فليس أمامنا سوى الحصول عليه ، لمنعهم من استخدامه ضدنا ، خشية

رد فعل مماثل منا ، ثم إنه من الضرورى أن يعكف علماؤنا على البحث عن مصل واق من الفيروس ، فى الوقت ذاته .. باختصار ، إما أن نمتلك هذا الفيروس ، أو ننحنى للأبد أمام المصريين .

صمت (سام) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- اطمئن أيها الرئيس .. ستحصل عليه .

أومأ الرئيس برأسه فى ارتياح ، وقال :

- عظيم .. والآن استمع إلى كل ما لدينا من معلومات ، حول هذا الأمر برمته .

وعلى الرغم من أن (سام) قد أرهف سمعه طويلاً ، وأنصت إلى كل حرف نطق به رئيسه ، إلا أن كل ما حصل عليه من معلومات ، لم يكن يتجاوز ربع الحقيقةَ فحسب ..

فالأمر بدأ داخل إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، عندما طالب الدكتور (هاشم صدقى) برفع دخله السنوى ألف ضعف ، وإلا فسيجبر العالم كله على الانحناء أمامه ..

وليثبت لهم أنه جاد فى تهديده ، ترك خلفه عينة

من فيروسه المخلَق (هشيم) ، الذى فتك بعدد من رجال الحراسة فى دقائق معدودة ..

ومع شدة الخطر ، أسند رئيس الجمهورية المهمة للمقدَم (نور) وفريقِه ، الذى عاد للعمل مجتمعًا مرة أخرى .

ولكن الخصم كان رهيبًا بحق ..

خصم عبقرى ، مجنون ، مبدع ، مهووس ..

تركيبة شديدة التعقيد ، تمتلك سلاحًا فتاكًا ، وقدرة على تحدَى العالم أجمع .

وراحت الضربات تتوالى ..

وسقط عشرات الضحايا ..

بل المئات منهم ..

ولأن الدكتور (هاشم) عبقرِى بحق ، فقد عانى الفريق الأمرَين ، فى محاولة تعقُبه ، وتوقَع ضرباته القادمة ، وإنقاذ عشرات الضحايا الأبرياء من فيروسه الرهيب ، الذى تنتشر عدواه بسرعة مذهلة ، انتشار النار فى الهشيم ..

ولهث أفراد الفريق ..

وبذلوا قصارى جهدهم ..

واحترقت دماؤهم وأعصابهم ..

ومما زاد الطين بلة ، أن وزير الدفاع شخصيًا صنع من نفسه خصمًا لهم ، وراح يفسد عملهم ، ويتصدَى له ، ويعانده ، حتىَ بلغ به الأمر أن حاول اعتقالهم ، بوساطة فرقة من رجال القوات الخاصة ، التابعة للجيش ..

وبسبب هذا الصراع غير المنطقى ، ربح الدكتور (هاشم) جولاته ، وأدرك الإعلام ما يحدث ، وكانت الفضيحة ..

والرهبة ..

والذعر ..

ولكن (نور) تصدَى للأمر بكل صلابته ، وحزمه ، ومسئولياته كقائد لفريق ، من أفضل خبراء عصره ، وواجه وزير الدفاع شخصيًا ، فى حضور رئيس الجمهورية ، وأعلن وجود صلة رسمية ، بين وزارة الدفاع والدكتور (هاشم صدقى) ..

صلة أدت إلى تخليق الفيروس (هشيم) ، كسلاح بيولوجى بالغ الخطورة ..

وبقرار من رئيس الجمهورية شخصيًا ، تم عزل

وزير الدفاع من منصبه ؛ ليواصل (نور) سعيه خلف الدكتور (هاشم) ، الذى قرَّر أن يضرب ضربته الكبرى ، فى قلب مؤتمر الإعلاميين الدولى ، باغتيال رئيس الجمهورية شخصيًا على الملأ ، بوساطة فيروسه (هشيم) ..

وفى اللحظة الأخيرة ، كشف (نور) الأمر ، وأنقذ رئيس الجمهورية ، مما أصاب الدكتور (هاشم) بالجنون ، فحاول اغتيال الجميع ، لولا ظهور (أكرم) ، الذى أطلق النار على قارورة الفيروس ، وتركها تنفجر فى وجه الدكتور (هاشم) ، الذى لقى المصير ذاته ، الذى تعذَّب به ضحاياه ..

انتفخ كبده ..

وانتفخ ..

وانتفخ ..

حتى انفجر فى مشهد رهيب ، أمام عدسات المصورين والصحفيين ورجال الإعلام من كل دول العالم ..

ومع مصرعه ، تصوَّر الجميع أنها النهاية ..

حتى جاءت المفاجأة الكبرى ..

اتصال من الدكتور (هاشم) شخصيًا فى منزل (نور) ، الذى أصيب بالذهول مع رفاقه ، وراحوا يحدقون فى صورته على شاشة هاتف الفيديو ، وهو يضحك فى سخرية ..

وشماته ..

وظفر ..(*)

★ ★ ★

لثوان ، حدَّق الجميع فى صورة الدكتور (هاشم) ، على شاشة هاتف الفيديو ، فى ذهول حقيقى ، قبل أن تغمغم (نشوى) ، فى مزيج من الذعر والارتياع :

ـ مستحيل !

أما (سلوى) ، فهتفت :

ـ إنها خدعة بالتأكيد .

ولكن الدكتور (هاشم) أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ أهذا رأيك أيتها العبقرية .. أنها مجرَّد خدعة ؟!

ثم اقترب بوجهه من الشاشة ، مستطردًا فى جدية شرسة مباغتة :

(*) للحصول على التفاصيل كاملة ، راجع الجزء الأوَّل (بصمة الموت) .. المغامرة رقم ١١٢

ـ فليكن .. أنت على حق .. إنها بالفعل خدعة .
وتراجع بسرعة ، متابعًا فى سخرية :
ـ ولكنها خدعة متقنة للغاية ، على نحو يتجاوز قدراتكم على التفكير والإدراك .. خدعة صنعها عبقرى مثلى ، لا يمكنكم أن تبلغوا مقدار ذكائه وألمعيته قط .
تمتم (رمزى) مبهوتًا :
ـ مجنون .. الرجل مجنون ولا شك .
أمسك (أكرم) مسدسه فى غضب ، وهو يقول :
ـ لدى هنا علاج مؤكد فعّال ، لكل أنواع الجنون .
أشار (نور) إليهما فى صرامة ليصمتا ، وهو يقول عبْر الهاتف :
ـ لا يمكننى أن أصدّق أنك الدكتور (هاشم صدقى) .. لقد رأيت الرجل يلقى مصرعه أمام عينىَّ ، وعلى نحو لا يمكن معه أن ينجو قط .
أطلق الرجل ضحكة ساخرة مجلجلة ، وهو يقول :
ـ لو أن الدكتور (هاشم) قد لقى مصرعه ، فمن أنا إذن أيها العبقرى ؟!
انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى الصورة فى

توتر شديد ، محاولاً البحث عن جواب منطقى للسؤال ، ولكن الدكتور (هاشم) رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال بلهجة تفيض سخرية :
ـ عجبًا .. هل ستظلّ زوجتك تحدّق فىَّ بهذه البلاهة أيها المقدّم ؟! ألا ينبغى لها أن تقوم بعملها ، وتحاول تعقب مكالمتى هذه ، لتحديد موقعى على الأقل ؟!
قالها ، وأطلق ضحكة قوية ، انتفضت لها (سلوى) فى عنف ، ثم وثبت إلى جهاز التتبُّع ، مغمغمة فى توتر شديد للغاية :
ـ إنه على حق .. إنه على حق .
وبينما كانت أصابعها تجرى على أزرار الجهاز ، هتف (أكرم) فى غضب :
ـ (سلوى) كانت مصيبة فى قولها يا (نور) .. إنها مجرّد خدعة .. لقد قتلت الرجل بنفسى .
هزَّ الدكتور (هاشم) كتفيه ، وقال :
ـ ربما كان هذا صحيحًا ، ولكن ..
وعادت الابتسامة الساخرة ترتسم على شفتيه ، وهو يضيف فى خبث :
ـ هل تأكّدت من أن الذى قتلته هو أنا ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى .. لقد ..

ثم بتر عبارته بغتة ، بناء على إشارة صارمة من (نور) ، الذى قال :

ـ لو أن الأمر ليس مجرَّد خدعة ، هل يمكنك أن تشرح لنا ما حدث بالضبط ، فى مؤتمر الإعلاميين .

قهقه الرجل ضاحكًا ثانية ، وقال :

ـ كلاً أيها المقدَّم .. ليس قبل أن تجيب عن سؤالى هذا .

وعاد يقترب بوجهه من الشاشة ، متابعًا فى خبث ساخر :

ـ مَنْ صاحب الجثة التى لديكم ؟ الدكتور (هاشم صدقى) ، أم ..

انفجر يضحك مرة أخرى ، دون أن يهتمَ بإتمام عبارته ، وتلاشت صورته مع صوته تدريجيًا من الشاشة ، و (سلوى) تهتف :

ـ لا .. ليس الآن .. أريد ثلاث ثوان بالتحديد .. ثلاث ثوان فحسب .

غمغم (نور) :

ـ أعلم هذا .

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا ، وهو يشير إلى شاشة هاتف الفيديو :

ـ وهو أيضًا يعلم هذا .

حدَّق الجميع فيه بدهشة ، قبل أن يهتف (أكرم) مستنكرًا :

ـ (نور) .. لا تقل لى : إنك تصدَّق هذا ! إنها مجرَّد خدعة حتمًا .. شخص ما ينتحل شخصية ذلك المأفون ، ليثير فى نفوسنا الشكَ والخوف .

أشار (نور) إلى زوجته ، قائلاً :

ـ ما رأيك ؟!

بدت شاحبة ، وهى تضغط أزرار جهازها ، قبل أن تقول فى توتر بالغ :

ـ الموجات متماثلة .. إنه هو ولا شك .

صاح (أكرم) فى حنق :

ـ أية موجات ؟! هل تحاولون إقناعى بأن الرجل عاد من قبره ؟!

أجابه (رمزى) بسرعة :

ـ إنه لم يهبط إليه بعد يا (أكرم) ، فجثته لا تزال تحت الفحص ، فى قسم الطب الشرعى الخاص بالإدارة .

هتف (أكرم) :

ـ فليكن .. هذا لا يمكن أن يعنى أنه على قيد الحياة ، بدليل وجود جثته هناك ، و ..

قاطعه (نور) بغتة :

ـ هذا لو أنها جثته .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، وسأله فى انفعال :

ـ ماذا تعنى ؟!

اعتدل (نور) ، مجيبًا فى حزم :

ـ أعنى أننا ، كفريق بحث علمى ، لا ينبغى أن نتعامل مع الأمور بمثل هذا التوتر والانفعال .. صحيح أننا كنا نثق جميعًا بأن الدكتور (هاشم صدقى) قد لقى مصرعه ، إلا أن متغيرات الأمور توحى لنا الآن بالعكس ، وعلينا ، قبل أن نتخذ أية قرارات ، أو نخطو أية خطوة جديدة ، أن نتيقن أولاً من حقيقة واحدة ، وهى مصرع الدكتور (هاشم) .

حدّق (أكرم) فى وجهه بدهشة عارمة ، تفيض بالغضب والاستنكار ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟! لقد اشتبكت مع الرجل بنفسك ، فى مركز المؤتمرات ، ورأيتنى أنسف القنينة فى يده أمام عينيك ، والعالم كله رأى كبده ينتفخ حتى الانفجار ، فكيف تلقى بعدها مثل هذا السؤال ؟!

أجابه (نور) فى هدوء مدهش :

ـ أوافقك على كل ما ذكرته يا صديقى .. لقد اشتبكت معه ، ورأيته يلقى حتفه ، متصورًا أنه الدكتور (هاشم) .

صاح أكرم) فى استنكار أكثر :

ـ متصورًا ؟!

أجابه (نور) فى حزم هذه المرة :

ـ نعم يا (أكرم) .. متصورًا .. فمن شدة ثقتنا بأن ذلك الذى لقى مصرعه أمامنا هو الدكتور (هاشم صدقى) ، لم نحاول أبدًا التأكد من حقيقة شخصيته .

اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة ، وقالت (نشوى) فى اضطراب :

- ولكن كيف لا يكون هو؟! من غيره يمكن أن يقاتل من أجل هدفه ، بكل هذا الحماس ؟!

التقى حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

- بديل نفسى .

هتفت (سلوى) :

- بديل ماذا ؟!

التفت (نور) إلى (رمزى) ، قائلاً :

- أعتقد أنه يمكنك شرح هذا الأمر أفضل منى .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم واجه رفاقه ، متابعًا :

- البديل النفسى ، فكرة وضعها أحد العلماء الألمان ، خلال الحرب العالمية الثانية ، بعد تعرّض (أودولف هتلر) لمحاولة اغتيال(*) ، فقد رأى ضرورة صنع

(*) فى العشرين من يوليو عام ١٩٤٤ ، جرت محاولة لاغتيال (أدولف هتلر) ، من قبَل عدد من جنرالاته المقربين ، وعلى رأسهم المارشال (كيتل) ، الذى حمل القنبلة إلى اجتماع يعقده الفوهلر مع ضباطه ، وكان من الممكن أن يلقى (هتلر) مصرعه بالفعل ، لولا أن ضابطه (برانت) ضاق بالحقيبة الموضوعة عند قدمه ، فدفعها بقدمه بعيدًا ، إلى الطرف الآخر من المائدة ، فانفجرت بعيدًا عن (هتلر) ، الذى نجا من الموت بأعجوبة ، وقام بإعدام كل المشاركين فى المؤامرة .

بديل بشرى للفوهلر ، يمكنه مواجهة المواقف الخطيرة ، التى يمكن أن يتعرّض فيها الفوهلر الحقيقى للموت أو الاغتيال ، ولم تكن الفكرة تقتصر على إجراء جراحة تجميلية لأحد الأشخاص ، بحيث يصبح صورة طبق الأصل من (هتلر) ، أو حتى تدريبه على السير والتحدُث والتفكير بأسلوبه ، وإنما تمتدّ إلى جانب آخر عبقرى ، لم تتح له فرصة تحقيقه ، بالإمكانيات المتاحة فى ذلك العصر .. فقد فكّر ذلك الألمانى العبقرى فى تنويم ذلك الشخص البديل مغنطيسيًا ، وغرس كل أفكار وتاريخ ، وحتى ذكريات الشخص الحقيقى فى أعماقه ، بحيث يؤمن هو نفسه بأنه (أدولف هتلر) الحقيقى ، وينمحى من أعماقه أنه مجرَّد شخص بديل .. وهذه الفكرة هى ما أطلق عليها اسم (البديل النفسى)(*) .

ران على الجميع صمت مطبق لنصف دقيقة كاملة ، وهم يحدِّقون فى وجه (رمزى) ، قبل أن تغمغم (سلوى) بصوت مرتجف :

- لا تقل لى : إن ذلك الذى لقى مصرعه ، أمام

(*) حقيقة علمية تاريخية .

مركز المؤتمرات ، مجردَ بديل نفسى للدكتور (هاشم) .

تنهَّد (رمزى) فى توتر ، وهو يغمغم :

- لا يمكننى الجزم بهذا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولا يمكننى استبعاده أيضًا .

قال (أكرم) فى عصبية :

- كيف أيها الخبير النفسى ؟! أنت نفسك قلت منذ لحظات : إن ذلك العالم الألمانى لم يستطع تحقيق فكرته ، لأنه لم يكن يمتلك الإمكانيات اللازمة لهذا .

قال (رمزى) :

- كان هذا فى النصف الأوَّل ، من أربعينات القرن العشرين يا (أكرم) ، ولقد قفز العلم قفزات مدهشة ، منذ ذلك الحين ، وما كان مستحيلاً آنذاك ، أصبح قابلاً للتحقيق فى سهولة ، فى أيامنا هذه .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يوجِّه حديثه لهم جميعًا ، متابعًا :

- والشىء الذى ينبغى أن تدركوه ، هو أن إدارة البحث العلمى تجرى تجارب ناجحة فى هذا المضمار ، منذ أكثر من أربع سنوات ، ومن الطبيعى أن يطلع

الدكتور (هاشم) عليها ، باعتباره أحد كبار علماء المركز ، ولن يكون من العسير بعدها أن يضع كل ما عرفه موضع التطبيق .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تقول فى غضب :

- وهل كنت تعرف بوجود مثل هذه التجارب ؟

أجابها (نور) فى حزم :

- زوجك كان أحد المشاركين فيها ، ولكن قواعد السرية المطلقة كانت تمنعه من إفشاء الأمر ، حتى لأقرب المقربين إليه .

تراجعت (نشوى) ، متمتمة :

- بالتأكيد .

أما (أكرَم) ، فلوَّح بذراعه كلها فى حدة ، وقال :

- لا .. لن يمكننى الاقتناع بهذا ، حتى ولو كانت هناك ألف تجربة .. إنها خدعة سخيفة ، أو لعبة لإخافتنا وحرق أعصابنا .. لن يمكنكم إقناعى أبدًا بأن الرجل ما زال على قيد الحياة ، وأن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع فجأة أزيز هاتف الفيديو ، فامتقع وجه (سلوى) ، وتمتمت فى اضطراب :

- إنه هو .


ضغط (نور) زر الهاتف ، فتكوَّنت على شاشته صورة لوجه مألوف ..

أشار إليها (نور) فى حزم :

ـ استعدى إذن .

انتزعت نفسها من دهشتها وخوفها واضطرابها ، وأسرعت إلى جهاز التتبُّع الهاتفى ، فى حين غمغم (أكرم) ، وهو يندفع مع (نور) إلى هاتف الفيديو :

ـ قلت لك : إنها مجرَّد خدعة .

ضغط (نور) زر الهاتف ، فتكوَّنت على شاشته صورة لوجه مألوف ..

وجه الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، الذى قال بابتسامته الهادئة الودود :

ـ صباح الخير يا (نور) ، أرجو ألا أكون قد أزعجتكم باتصالى هذا .

وعلى الرغم من محاولته ، لم يستطع (نور) منع تلك النبرة المتوترة فى صوته ، وهو يجيب :

ـ أنت على الرحب والسعة دومًا يا دكتور (حجازى) :

اتسعت ابتسامة الدكتور (حجازى) ، وهو يتمتم :

ـ أشكرك يا (نور) .. أشكرك يا ولدى .

حمل صوته أيضًا توترًا ملحوظًا ، جعل (نور) يسأله :

- ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟

تردَّد الرجل لحظة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :

- أعلم أن ما سأخبركم به لن يروق لكم ، ولكنه أمر بالغ الأهمية والخطورة بالفعل ، فأثناء فحصى لجثة الدكتور (هاشم) ، أجريت مراجعة روتينية لبصماته ، على تلك المسجَّلة فى دائرة أمن الإدارة ، وكانت مفاجأة .

وازدرد لعابه فى توتر أكثر ، قبل أن يضيف :

- إنها لم تتطابق قط ، مما يعنى أن الجثة ليست جثة الدكتور (هاشم صدقى) .. ليست جثته أبدًا .

وعلى الرغم من كل ما حدث ، هبطت عليهم كلمات الدكتور (حجازى) كصاعقة ..

صاعقة مدمِّرة .

★ ★ ★



٢ - الجولة بعد الأخيرة ..

احتقن وجه رئيس الجمهورية بشدة ، وتبادل نظرة عصبية مع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يقول :

- مستحيل ! هذا الأمر يقلب الأمور كلها رأسًا على عقب يا (نور) ، ويعيدنا إلى القضية الأولى ، بعد أن تصوَّرنا أن جولتها الأخيرة قد انحسمت ، بمصرع الرجل على مرأى من الجميع .

أجابه (نور) :

- التطورات الجديدة تشير إلى أنها لم تكن الجولة الأخيرة يا سيادة الرئيس ، فالتقرير الذى أعدَّه الدكتور (محمد حجازى) ، يشير إلى أن بصمات الجثة لم تتطابق مع بصمات الدكتور (هاشم) ، كما أنه توجد فى وجهها آثار لعملية جراحية تجميلية قديمة ، وهذا يعنى أن ذلك الذى لقى مصرعه ، على مرأى ومسمع من الجميع ، لم يكن الدكتور (هاشم) الحقيقى .

ازداد احتقان وجه الرئيس ، وهو يقول :

ـ إنها كارثة .. كارثة بكل المقاييس .. ولو أن الرجل ما زال على قيد الحياة ، فهذا يعنى أنه نجح فى خداعنا جميعًا ، وأنه يعدّ لنا ضربة جديدة ، ستكون حتمًا أقوى من كل ما سبقها .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بالضرورة يا سيادة الرئيس ، فالرجل يشعر الآن بزهوة النصر والتفوّق ، وسيتعامل معنا بأسلوب المنتصر الذى يملى شروطه على الطرف المهزوم ، وهذا قد يعنى أن ضربته التالية ستترفّع عن القسوة والعنف الزائد ، وستكون مجرّد إثبات لوجوده ، وتفوّقه فحسب .

بدا عدم الاقتناع على وجهى رئيس الجمهورية والقائد الأعلى ، فاستدرك (نور) فى سرعة وحسم :

ـ وهذا ليس مجرّد رأى شخصى .. إنه تقرير رسمى من (رمزى) ، خبيرنا فى الطب النفسى .

ران الصمت على الحجرة بضع لحظات ، تبادل خلالها الرئيس نظرات متوترة للغاية ، مع القائد الأعلى ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ نحن نثق كثيرًا فى قدرة خبيركم النفسى وكفاءته يا (نور) ، ولكننا نشعر بارتباك حقيقى ، إزاء هذه المفاجأة العنيفة ، ونتساءل ما الذى ينبغى فعله ، فى المرحلة القادمة ؟!

تنهّد (نور) وقال :

ـ لقد درست مع فريقى هذه النقطة بالتحديد يا سيّدى .. مالذى ينبغى فعله فى المرحلة القادمة ، وبعد أن راجعنا كل النقاط ، وأعدنا دراسة الموقف منذ البداية ، وجدنا أنه ليس أمامنا سوى أن ننتظر اتصاله القادم .

قال الرئيس فى حدة :

ـ وهل سنقف صامتين ، حتى ذلك الحين ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا يا سيادة الرئيس .. إننا نراجع كل ما يتعلّق بالرجل ، فى محاولة لكشف أسرار جديدة فى حياته ، أو جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الجديدة ، التى تتيح لنا فهم أسلوبه ، وكيفية التعامل معه ، وفى هذه اللحظة بالذات تفحص (نشوى) كل الملفات الخاصة به ، فى كل مكان فى العالم ، عبر

شبكة الكمبيوتر الدولية ، وتبذل (سلوى) قصارى جهدها ، لتحديد وسيلة الاتصال ، التى استخدمها لبث رسالته الأخيرة ، ويعيد (أكرم) تفتيش منزله بدقة أكثر ، فى حين يراجع (رمزى) فحص وتشريح الجثة ، مع الدكتور (محمد حجازى) .

غمغم القائد الأعلى :

ـ كل هذا عظيم يا (نور) ، ولكنه لا يكفى للتصدّى للموقف الحالى .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ هذا كل ما يمكننا عمله فى الوقت الحالى يا سيّدى .

ثم مطَّ شفتيه ، مضيفًا فى ضيق :

ـ للأسف .

تطلع إليه رئيس الجمهورية لحظات فى صمت ، ثم نهض من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقطع الحجرة جيئة وذهابًا ، وقد ارتسمت على وجهه إمارات التفكير العميق ، قبل أن يتوقّف ، ويلتفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ الواقع أن الأمر الآن أكثر خطورة من ذى قبل أيها المقدّم ، فمن المحتم أن الرجل سيصبح أكثر

إصرارًا من ذى قبل ، خاصة وأننا لم ننجح بعد فى الحصول على مصل واق من فيروسه الرهيب ، ثم إننا نجهل كل شىء تمامًا هذه المرة .. نجهل أين هو ، وما الذى يمكن أن نفعله، بل ونجهل حتى مطالبه فى هذه المرحلة ، والتى ستتضاعف حتمًا عن مطالبه السابقة .

شدّ (نور) قامته ، وقال :

ـ أنا واثق من أنه سيعلن كل هذا فى القريب العاجل يا سيادة الرئيس .

غمغم الرئيس :

ـ أتعشَّم هذا يا (نور) .. أتعشَّم هذا .

وعاد يقطع الحجرة فى توتر ، ويلوِّح بيده ، متابعًا :

ـ ولكن المشكلة أن الأمر صار علنيًا للغاية ، وانتشرت القصة فى كل بلاد العالم ، ولم يعد من الممكن إخفاء أية واقعة جديدة ، وما إن يضرب ذلك المخبول ضربته القادمة ، حتى تشتعل الأمور ، على نحو يفوق قدرتنا على إطفائها .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يستمع إلى حديث رئيس الجمهورية ..

إنه على حق تمامًا ، فى كل ما نطق به ..

الضربة القادمة لن يمكن حجبها أو تبريرها قط ..

وستؤدى حتمًا إلى تفجّر موجة من الذعر لا حدود لها ..

خاصة وقد رأى الجميع تأثير الفيروس الرهيب ، وقدرته المرعبة على الفتك بالأجساد ، فى دقائق معدودة ..

ثم إن ..

قبل أن تكتمل الفكرة الجديدة فى رأسه ، انطلق أزيز ساعته الخاصة بغتة ..

وتفجَّرت قنبلة من الدهشة فى الحجرة ، التى تضمَ الثلاثة ..

رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى ، و (نور) ..

فالمفترض ، طبقًا لكل النظم الأمنية المتبعة ، ألا يملك سواهم شفرة الاتصال السرية ، الخاصة بجهاز الاستدعاء الدقيق ، فى قلب ساعة (نور) !!..

فمن صاحب الاتصال إذن ؟!..

وفى توتّر بالغ ، ومع تعلّق عيون الرجلين به ، ضغط (نور) زر الاتصال فى جانب الساعة ، وهو يقول :

ـ من المتحدِّث ؟!

أجابته ضحكة عالية ساخرة ، تجمّدت لها الدماء فى عروق ثلاثتهم ، قبل أن ينبعث من الساعة صوت يقول :

ـ عجبًا ! ألا يمكنك تعرّفى أيها المقدَّم .. إنه أنا .

امتقع وجه رئيس الجمهورية ، وهو يغمغم :

ـ الدكتور (هاشم) ؟! مستحيل ! كيف توصَّل إلى هذه الشفرة ؟!

وتمتم القائد الأعلى فى عصبية :

ـ ذلك الرجل تجاوز كل الحدود .

أما (نور) ، فلم يستطع حجب توتره ، وهو يقول :

ـ كيف توصّلت إلى شفرة الاتصال ؟!

قهقه الدكتور (هاشم) ضاحكًا مرة أخرى ، وقال :

ـ يبدو أن عبقريتى تبهركم للغاية ، حتى إنكم ترفضون الاعتراف بها ، لأن اعترافكم سيعنى أنكم أقل ذكاءً .. أليس كذلك ؟!

وعاد يطلق ضحكات ساخرة ، تضاعف لها توتر (نور) ، الذى لاذ بالصمت تمامًا ، حتى توقَّف الرجل عن الضحك ، وقال ساخرًا :

ـ هل تعلم ما هى مشكلة هذا العصر أيها المقدَّم ؟!

إنها التخصُّص .. كل شخص ينبغى أن يفنى نفسه فى مجال واحد لاغير ، حتى يصبح متخصصًا لا يشق له غبار فى هذا المجال ، ثم ينسى أو يتجاهل كل المجالات الأخرى .. لقد أصبح هذا شائعًا ، حتى إن أحدًا لا يتوقَّع وجود شخص متفوِّق فى مجالات شتَّى .. ولكن انظر إلىَّ أيها المقدَّم .. إننى عبقرى فى علم الفيروسات والتطوُّر الجينى ، ولكن هذا لم يمنعنى من إبراز عبقريتى فى عالم الكمبيوتر والاتصالات أيضًا ، على نحو يربك فريقك ، ويصيبكم جميعًا بالحيرة والتخبُّط والتضارب ، و ...

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ كل هذا التباهى لم يُجب عن تساؤلى .

صمت الرجل بضع لحظات ، وكأنما أصابته عبارة (نور) بالغضب ، إلا أنه ، عندما عاد إلى الحديث ، كان يحتفظ بنفس لهجته الساخرة ، وهو يجيب :

ـ لم يكن الأمر شاقًّا كما تتصوَّرون .. لقد اخترقت شفرة الأمن ، الخاصة ببرامج السرية المطلقة ، وتسلَّلت منها إلى شفرة الاتصالات التى تمت حمايتها بمفتاح سرى من اثنى عشر رمزًا ، أرهقت برنامجى

العبقرى طويلاً ، إلا أنه تجاوزها فى النهاية ، ومنحنى الشفرة المطلوبة .. ولعلك تتساءل الآن : لماذا استخدمتها فى هذه المرة بالذات ؟!

لم يجب (نور) ، ولكن هذا لم يمنع الرجل من الاستطراد ، قائلاً :

ـ لأن حديثنا سيطول ، ولست أرغب فى منح زوجتك الجميلة فرصة تعقُّب هذا الحوار ، وأنا أعلم أن شفرة الاتصال هذه يستحيل تعقُّبها .. أليس كذلك ؟!

قالها ، وقهقه ضاحكًا ، ورئيس الجمهورية يقول فى حنق :

ـ ذلك الوغد أعدَّ لكل شىء عدته ، ولم يترك احتمالاً واحدًا للظروف .

تمتم القائد الأعلى ، وهو يراقب (نور) فى اهتمام :

ـ من يدرى ؟!

فى نفس اللحظة ، كان (نور) يسأل :

ـ ولماذا سيطول حديثنا هذه المرة يا دكتور (هاشم) ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

ـ لأن لدى الكثير لأقوله أيها المقدَّم .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتابع بنفس اللهجة :

ـ فى البداية ، أحب أن أؤكِّد أن مطالبى ستختلف حتمًا عما سبق ، فلم يعد المال يعنينى فى هذه المرحلة ، وإنما أصرُّ على أن يذكر التاريخ أننى أوَّل رجل يحقِّق هذا النجاح الساحق ، على كل المستويات .

سأله (نور) فى صرامة :

ـ وما مطالبك بالضبط ؟!

أجابه الرجل :

ـ مطلبى الأوَّل هو استقالة مسبَّبة ، يتم تقديمها عبر أجهزة الإعلام المختلفة ، خلال أربع وعشرين ساعة فحسب .

سأله (نور) فى دهشة :

ـ استقالتى ؟!

انطلقت من الرجل ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يقول :

ـ استقالتك ؟! ومن يهتمّ باستقالتك أيها المقدَّم ؟! ربما كنت بطل التحرير(★) ، وأشهر رجل مخابرات

(★) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

علمية فى العالم ، إلا أن استقالتك لن تعطى التأثير الذى أنشده .

ثم تلاشت ضحكاته ، وبدا صوته صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـ إنما أريد استقالة الرئيس .. رئيس الجمهورية شخصيًا .

وكان هذا المطلب مباغتًا وغريبًا ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

رفع (رمزى) يده بحركة آلية ، ليمسح العرق الغزير ، الذى تصبَّب على جبهته ، وهو يقف إلى جوار الدكتور (حجازى) ، فى قاعة التشريح الخاصة ، المعزولة تمامًا ، داخل إدارة البحث العلمى ، التابعة لجهاز المخابرات ، ولكن لم تكد يده تصل إلى جبهته ، حتى أدرك أنه يرتدى زيًّا واقيًا رقيقًا شفافًا ، فعقد حاجبيه فى حنق ، وهزَّ رأسه فى قوة ، لينفض العرق ، قبل أن يتساقط على عينيه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن آثار عملية التجميل هذه قد التأمت تمامًا ، فلم يتبق منها سوى تلك الندبة الرفيعة خلف الأذن اليسرى .

وافقه الدكتور (حجازى) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- الواقع أنها أفضل عملية تجميل رأيتها فى حياتى ، فلولا تلك الندبة ، لما كان هناك دليل واحد على إجرائها ..

التقط (رمزى) يد الجثة ، وهو يقول :

- وماذا عن بصمات اليد ؟! ألا توجد وسيلة حديثة لتغييرها ؟!

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- من المدهش حقًا أن يلقى هذا السؤال طبيب مثلك .

أجابه (رمزى) ، وهو ينفض عرقه مرة ثانية :

- إننى خبير فى الطب النفسى ، ولست جراحًا ، لأتابع التطورات السريعة فى هذا المجال .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه متفهمًا ، وهو يلتقط عينة من خلايا الجثة فى عناية ، ثم قال :

- هذا صحيح ، ولكن ماذا عن الثقافة الطبية العامة ؟! ألا ينبغى أن تتابع أخبارها ، ولو من باب العلم بالشىء ؟!

شعر (رمزى) بالخجل ، وتمتم :

- بالتأكيد .

عاد الدكتور (حجازى) يبتسم تلك الابتسامة الباهتة ، وهو ينقل العينة إلى جهاز كمبيوتر طبى خاص ، وقال :

- حسن يا (رمزى) .. وعلى أية حال ، الجواب هو النفى .. لم يتوصَّل الطب بعد إلى وسيلة جراحية ، مهما بلغت دقتها ، لتغيير بصمات الأصابع ، حتى باستخدام أدق أنواع الليزر الجراحى .. هناك فقط وسيلة لتشويهها ، بحيث لا يمكن الجزم بصحتها ، وهذا ما كان يفعله المجرمون فى الماضى(*) ، ولكن من الواضح أن صاحب هذه الجثة لم يفعل هذا ، فهو يمتلك بصمات تختلف تمام الاختلاف ، عن بصمات الدكتور (هاشم) .

ودفع العينة داخل تجويف خاص فى الكمبيوتر الطبى ، وجرى بأصابعه على أزراره ، قبل أن يتابع فى حزم :

- ولكن هناك وسائل فى العصر الحديث ، أكثر دقة وحسمًا من بصمات الأصابع .

(*) حقيقة ..

سأله (رمزى) فى اهتمام ، وهو يتابع ما يقوم به الكمبيوتر الطبى :

- أتقصد البصمة الجينية(*) ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى حسم ، مشيرًا بسبَّابته :

- بالضبط .

تعلَّقت عينا (رمزى) بشاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

- صدقنى يا دكتور (حجازى) .. إننى أتمنى ، من أعمق أعماق قلبى ، أن يكشف الفحص الجينى أن هذه هى جثة الدكتور (هاشم) .

رمقه الدكتور (حجازى) بنظرة جانبية ، وقال :

- هل تعتقد أن هذا يحلّ المشكلة ؟

صمت (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- المشكلة ستظلّ قائمة فى كل الأحوال يا دكتور

(*) لكل مخلوق حى ضفيرة جينية خاصة ، تحمل كل صفاته الوراثية ، من طول ، وقصر ، ولون شعره ، وبشرته ، وعينيه ، إلخ ... ولأن كل صفة من هذه الصفات تحمل عشرات التنوعات ، فمن المستحيل أن تتفق البصمة الجينية لأى مخلوق ، مع البصمة الجينية لسواه ، ولهذا السبب ، يعتبرها العلماء أدق وسيلة لتحديد الشخصية ، وإثبات حالات البنوة ، التى لم يكن من الممكن إثباتها قديمًا .

(حجازى) ، ولكن تأكُّدنا من موت الدكتور (هاشم) ، سيجعلنا نركز جهودنا فى اتجاه واحد على الأقل .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى اهتمام ، وسأله :

- وما رأيك كخبير فى الطب النفسى ؟! هل تعتقد أن ذلك الذى لقى مصرعه ، عند مركز المؤتمرات ، هو الدكتور (هاشم صدقى) بالفعل ؟!

انطلقت زفرة من أعمق أعماق (رمزى) ، قبل أن يقول :

- الواقع يا دكتور (حجازى) أننى ، ولأوَّل مرة ، أشعر بحيرة غير طبيعية ، إزاء هذا الموقف ، فطبقًا للتحليل النفسى للرجل ، لم يكن من الممكن أن يضرب ضربته الكبرى ، ويسعى لاغتيال رئيس الجمهورية ، دون أن يشاهد لحظة انتصاره بنفسه .. من المستحيل أن يرسل بديله النفسى ، ويقبع هو فى مخبئه ، ليشاهد الموقف على شاشة الهولوفيزيون ، ولكن لو أن هذا صحيح ، فلا بد أن يكون هو نفس الشخص ، الذى لقى مصرعه ، عند مركز المؤتمرات ، وعلى الرغم من هذا ، فكل شىء يوحى بالعكس تمامًا ، وبأنه لم يكن ذلك الشخص ، وهذا يتعارض تمامًا مع تحليلى النفسى لشخصيته .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

ـ إذن ، فأنت تتمنى أن يكون هذا الشخص هو الدكتور (هاشم صدقى) ، حتى لا تصاب بخيبة أمل ، أو ينتابك شعور بالفشل إزاء تحليله النفسى .

لم يرق هذا التحليل لـ (رمزى) ، إلا أنه لم يعارض ، وإنما تمتم فى خفوت :

ـ ربما يا دكتور (حجازى) .. ربما .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق أزيز متصل من الكمبيوتر الطبى ، فأسرع إليه الدكتور (حجازى) ، وتطلّع إلى النتيجة المرتسمة على شاشته ، ثم عقد حاجبيه ، قائلاً :

ـ انحسم الأمر يا (رمزى) .

كان جسده يحجب شاشة الكمبيوتر عن عينى (رمزى) ، فاشرأب بعنقه ، محاولاً إلقاء نظرة عليها ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ فى أى اتجاه ؟!

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا عميقًا ، قبل أن يلتفت إليه ، مجيبًا :

ـ فى الاتجاه السلبى .

واكتسى صوته بتوتر شديد ، وهو يضيف :

ـ فطبقًا للفحص والمراجعة ، لا يمكن أن تكون هذه جثة الدكتور (هاشم صدقى) .. أبدًا .

وهوى قلب (رمزى) بين قدميه ..

★ ★ ★

كان مطلب الدكتور (هاشم) مفاجئًا عنيفًا بالفعل ، حتى إن الجميع تطلّع بعضهم إلى بعض فى دهشة أقرب إلى الذهول ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى غضب :

ـ لقد أصيب هذا الرجل بالجنون حتمًا .

أشار إليه رئيس الجمهورية بالصمت ، وهو يلوّح بيده لـ (نور) ، ليواصل حديثه مع الدكتور (هاشم) ، فأومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ألا تعتقد أنه مطلب غير مقبول يا دكتور (هاشم) ؟!

أجابه الرجل فى سخرية :

ـ ولكنه قابل للتنفيذ .

قال (نور) فى صرامة :

ـ وماذا لو قوبل مطلبك بالرفض ؟!

أجابه الدكتور (هاشم) بسرعة :

ـ سيكون هذا من سوء حظكم .

ثم أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يتابع بلهجة صارمة مباغتة :

ـ أنا واثق من أن خبراءكم لم يتوقَّفوا لحظة واحدة عن دراسة فيروسى ، والبحث عن مصل واق منه ، ويؤسفنى كل ما بذلوه من جهد فى هذا الشأن ، لأن جهودهم هذه ستذهب كلها أدراج الرياح .

التقى حاجبا رئيس الجمهورية ، وبدا عليه توتر بالغ ، وندت من القائد الأعلى للمخابرات العلمية حركة عصبية ، فى حين سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

ـ لماذا ؟!

أجابه الرجل بلهجة شامتة ، صارمة ، حاسمة :

ـ لأن تجاربهم تركَّزت كلها حول الجيل الأوَّل من فيروس (هشيم) .. الجيل الذى قمت بتطويره ، فى المرحلة الثانية من عملى ، لأحصل فى النهاية على النسخة المتطورة ، التى أطلقت عليها اسم (هشيم ـ ٢) .

وراح قلب (نور) يخفق فى عنف ، فى حين هوى قلبا الآخرين بين أقدامهما ، وعقول ثلاثتهم تصرخ بفكرة مخيفة ..

لو أن الفيروس الأوَّل يمتلك القدرة على تدمير

الجسد البشرى فى دقائق معدودة ، على هذا النحو الرهيب ، الذى لن تتمحى مشاهده بسهولة من عقولهم .

فكيف يكون تأثير الفيروس الثانى ؟!

بعد تطويره ؟!

ما تأثيره المدمِّر على البشر ؟!

كان مجرَّد التساؤل كافيًا لبث الرعب فى قلوبهم ، خاصة وقد أضاف الدكتور (هاشم) بنفس الصرامة :

ـ ولكن لا داعى لأن تطلقوا لخيالكم العنان أيها السادة ، فسرعان ما ترون بأنفسكم تأثير (هشيم ـ ٢) .

سأله (نور) فى سرعة :

ـ متى ؟ وأين ؟!

قهقه الرجل ضاحكًا بملء فيه ، قبل أن يقول :

ـ ليس بهذه السرعة أيها المقدَّم الهمام .. ليس بهذه السرعة .

كرَّر (نور) فى صرامة :

ـ متى ، وأين يا رجل ؟!

أجابه الدكتور (هاشم) بصرامة أشد :

ـ قلت لك : ليس بهذه السرعة أيها المقدَّم .. ستعرف كل شىء فى حينه .

انتهى من عبارته ، وانقطع الاتصال دفعة واحدة ، فهبط صمت رهيب على الحجرة ، وتبادل الجميع نظرة شديدة التوتر ..

نظرة كانت أبلغ من أى كلام يقال ..

وأقوى من أى فعل ..

★ ★ ★

« هذا هو الموقف بأكمله يا رفاق .. »

نطق (نور) العبارة بصوت قوى ، لم ينجح فى إخفاء التوتر البالغ فى أعماقه ، فتطلَّع إليه رفاقه فى وجوم ، وهو يتابع :

ـ كل العوامل تشير إلى أن الدكتور (هاشم صدقى) لم يلق مصرعه ، كما كنا نتصوَّر ، وأنه على قيد الحياة ، يعدّ لنا ضربة جديدة ، مازلنا نجهل زمانها ومكانها ، وطبيعتها ، فهو ـ على عكس المرات السابقة ـ لم يمنحنا أية دلالة ، يمكن أن تقودنا إليها .

بدا الاهتمام على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. هذا لا يتفق أبدًا مع شخصيته .

التفت إليه (نور) بحركة حادة ، قائلاً :

ـ حقًا ؟!

أجابه (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ بالتأكيد ، فمن أهم السمات النفسية للدكتور (هاشم) ، أنه لا يستطيع مقاومة رؤية لحظة انتصاره ، أو حضورها بنفسه ، هذا يملأ نفسه بالزهو والفخر ، ويُشبع جنون العظمة فى أعماقه ، وإحساسه بالتفوُّق والظفر .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للسخافة !

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، فانعقد حاجباه ، ولوَّح بيده ، قائلاً فى غضب :

ـ (نور) .. لا تتعامل معى كما لو كنت تلميذًا فاشلاً ، فى مدرسة ابتدائية .

لم يكن لدى (نور) أدنى استعداد للدخول فى معركة كلامية ؛ لذا فقد أشاح بوجهه عنه ، وسأل (رمزى) :

ـ هل تعتقد إذن أنه سيحذرنا حتمًا ؟!

أجابه (رمزى) فى حسم :

ـ لن يمكنه مقاومة هذا .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يمنحنا فرصة ما على الأقل .

ثم عاد يتطلَّع إلى (أكرم) ، ويسأله فى شىء من الحدة :

ـ ما نتيجة إعادة تفتيش منزله ؟
أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :
ـ سلبية .. رجال الأمن فتشوه شبرًا شبرًا ، ولم يتركوا فيه ذرة واحدة ، يمكن العثور عليها .
التفت (نور) إلى ابنته ، وسألها :
ـ وماذا عنك ؟!
لوَّحت بورقة فى يدها ، قائلة :
ـ لقد راجعت تاريخه كله ، ونبشت حياته منذ مولده ، ومن الواضح أنه ظل شخصًا عاديًا متواضعًا لسنوات طويلة ، وحصل على شهاداته الجامعية ، ودراساته العليا ، ثم رسالتى دكتوراه : واحدة فى مجال تخصصه ، والأخرى فى نظم الكمبيوتر .
هزَّ (نور) رأسه ، مغمغمًا :
ـ لا عجب إذن فى أنه يجيد كل هذا .
أجابته (نشوى) :
ـ ليس هذا فحسب يا أبى ، فخلال العامين السابقين ، درس الدكتور (هاشم) نظم الاتصالات ، والسموم ، والمواد المتفجرة ، والطب النفسى التجريبى ، وشارك ـ من خلال إدارة البحث العلمى ـ

فى برنامج تطوير النظم البيولوجية ، وعملية إعداد البدائل النفسية ، وتلقَّى دورة أمنية مكثفة ، أظهر خلالها تفوقًا ملحوظًا :
تمتمت (سلوى) :
ـ رباه .. من الواضح أن الدكتور (هاشم) بعدَ نفسه لما فعله ، منذ عامين كاملين !
غمغم (نور) :
ـ وربما أكثر .
وافقته (نشوى) بإيماءة من رأسها ، وقالت :
ـ لقد حصلت على كشف بكل الأماكن التى قضى فيها بعض الوقت ، وآخر بمصروفاته الشهرية .
ثم اعتدلت فى اهتمام ، متابعة ، وصوتها يحمل شيئًا من الحيرة :
ـ هل تصدقون ؟! لقد كانت مصروفاته قليلة ، حتى إنه لم يكن ينفق دخله كله ، ومعظم ما ينفقه يتركز على مشترواته من الكتب والمراجع ، وأسطوانات الكمبيوتر .. باختصار ، لم يكن أبدًا ذلك الرجل ، الذى يقيم للمال وزنًا كبيرًا ، إلى الحد الذى يدفعه لارتكاب كل ما ارتكبه من أجله .

أشار إليها (رمزى) ، قائلاً :
- المال لم يكن أبدًا هدفه يا (نشوى) ، فالمشكلة التى يعانيها هى عدم تقدير عبقريته ، وإمكاناته المتفوِّقة ، وطلبه للمال كان مجرَّد وسيلة لإثبات هذا التفوُّق .
تابع (أكرم) حديثهما فى صمت ، ثم لوَّح بيده ، قائلاً :
- لو أردتم رأيى يا رفاق ، فالوسيلة الوحيدة لعلاج شخص مجنون كهذا ، هى نسف رأسه برصاصة مباشرة .
أجابه (نور) فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه :
- المهم أن تعثر عليه أوَّلاً :
انعقد حاجبا (أكرم) ، واحتقن وجهه فى غضب ، وهمَّ بقول شىء ما ، لولا أن التفت (نور) إلى زوجته ، وسألها :
- هل توصَّلت إلى شىء بشأن الاتصالات ؟!
أجابته (سلوى) :
- إنه يستخدم الأسلوب نفسه ، ولكن عبر قمر صناعى مختلف ، أو قمرين على الأرجح .
سألها فى دهشة :
- وكيف يمكنه أن يستخدم فى اتصالاته قمرين صناعيين فى آن واحد ؟!

أشارت إلى شاشة جهاز التتبُّع الخاص بها ، مجيبة :
- البث الأساسى ينبع من هنا على الأرجح .. من (مصر) ، ثم يتمّ إرساله إلى أحد أقمار الاتصالات ، ومنه إلى هاتف آخر ، فى مكان ما ، تقتصر مهمته على استقبال البث ، وإعادة إرساله إلى قمر صناعى آخر ، يعيده إلى هنا .
بُهت (أكرم) للشرح ، وغمغم :
- يا لها من وسيلة معقَّدة !
أجابته (سلوى) :
- هذا هو المطلوب بالضبط يا (أكرم) .. أن تكون الوسيلة شديدة التعقيد ، بحيث تبلغ صعوبة تعقُّب المحادثة حد الاستحالة ، ومع التطوّر الشديد فى وسائل الاتصال ، الذى عرفه العالم منذ مطلع القرن الحادى والعشرين ، لن تستغرق عملية النقل هذه أكثر من ثانية واحدة على الأكثر .
سألها (نور) فى اهتمام :
- وهل تعتقدين بالفعل أن تعقُّب محادثاته أمر يبلغ حد الاستحالة ؟!
صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب :

- علميًا ، لا يوجد أى شىء مستحيل .. كل ما فى الأمر أن تنجح فى العثور على الوسيلة الصحيحة لفعله .

أشار إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

- هذه مهمتك إذن يا (سلوى) .. راجعى كل دراساتك ، وكل نظريات علم الاتصالات ، وكل وسيلة ، مهما بلغت ندرتها ، لتعقُّب الاتصالات السلكية .. المهم أن تجدى فى النهايةَ وسيلة لتحديد موقع الدكتور (هاشم صدقى) ، بأقصى سرعة ممكنة .

ثم التفت إلى (نشوى) ، متابعًا :

- أما أنت يا (نشوى) ، فستظلّ مهمتك على حالها ، مع تطوير بالغ الأهمية ، ألا وهو أنك ستراجعين كل التفاصيل الجديدة ، التى ظهرت هذه المرة .. أريد معرفة المناهج التى درسها الدكتور (هاشم) ، فى كل تلك التخصصات ، ودوره فى عملية إعداد البدائل النفسية ، والمقررات التى درسها خلال الدورة الأمنية المكثفة .. كل شىء يا (نشوى) .. كل التفاصيل ، مهما بلغت دقتها ، ومهما بدت تافهة وغير مهمة .

اعتدل (أكرم) ، وهو يسأله فى اهتمام :

- وماذا عن دورى أنا ؟!

واجهه (نور) ، قائلاً :

- ستظلّ إلى جوارى ، طوال بحثنا عن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز قوى من هاتف الفيديو ، على نحو يوحى بوجود مكالمة عاجلة ، فقفز إليه (نور) ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى توتر :

- أخشى أن يكون الدكتور (هاشم) .

ولكن الشاشة أضاءت ، حاملة صورة أخرى ..

صورة الدكتور (محمد حجازى) ، الذى بدا شديد التوتر ، وهو يقول :

- (نور) .. حدث تطوّر خطير للغاية .

سأله (نور) فى انزعاج :

- أى تطوُّر يا دكتور (حجازى) ؟!

ارتجف صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يجيب :

- الجثة يا (نور) جثة الدكتور (هاشم) .

ولم يكد الجميع يسمعون ما أصابها ، حتى تفجَّرت فى وجوههم الدهشة ..

دهشة بلا حدود .

★ ★ ★

٣ - أقصى جهد ..

استغرق الدكتور (سمير حافظ) ، خبير الفيروسات العالمى ، فى نوم عميق ، بعد المجهود الشاق ، الذى بذله طوال عشرين ساعة متصلة بلا انقطاع ..

وحتى فى نومه ، لم تفارقه محاولات سبر أغوار الفيروس (هشيم) ..

إنه لم ير فى حياته كلها ، وعلى الرغم من خبراته الواسعة فى هذا المضمار ، فيروسًا كهذا ..

غلاف مزدوج ..

مقاومة قوية للحرارة والبرودة ..

مناعة تامة ، ضد كل الأمصال واللقاحات ..

سرعة انتشار مذهلة ، بمجرَّد الملامسة ..

أى عقل شيطانى صنع شيئًا كهذا ..

بل أى شيطان ..

كان عقله يرفض الاستسلام التام للنوم ، ويواصل البحث والتفكير ، حتى إنه راح يتقلَّب فى فراشه كالمحموم ، حتى شعر بيد تدفعه ، وصوت يقول فى حماس وانفعال :

- دكتور (سمير) .. استيقظ .

انتفض جسده فى عنف ، وقفز جالسًا على طرف الفراش ، وهو يقول :

- ماذا هناك ؟! ماذا حدث ؟!

مال عليه الدكتور (مجدى خليل) ، قائلاً فى انفعال واضح :

- سيدهشك ما توصَّلت إليه .

كان وكأنه قد نطق كلمة السر السحرية ، فلم يكد الدكتور (سمير) يسمعها ، حتى قفز من فراشه ، واختطف زيه الواقى ، وهو يقول :

- ما الذى توصَّلت إليه ؟

جذبه الدكتور (مجدى) من يده ، قائلاً :

- تعال لترى بنفسك .

كاد الدكتور (سمير) يتعثَّر عشر مرات على الأقل ، وهو يسير إلى جوار الدكتور (مجدى) ، فى الممر المؤدى إلى المعمل ، ويجاهد لارتداء زيه الواقى فى الوقت ذاته ، حتى بلغا المعمل ، فاندفع إليه الدكتور (مجدى) ، وهو يقول :

- كشف مدهش للغاية .



فاندفع إليه الدكتور (مجدى) ، وهو يقول :
ـ كشف مدهش للغاية ! . .

توقَّف الدكتور (سمير) لحظة ، ليحكم غلق زيه الواقى ، قبل أن يندفع بدوره إلى المعمل ، ويقول فى لهفة :

ـ هل توصَّلت إلى مصل واق ؟!

حدَّق الدكتور (مجدى) فى وجهه بدهشة ، وكأنه نطق أمرًا عجيبًا ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ كلاَّ بالطبع .. هذا يحتاج إلى عمل شاق طويل .

ثم تألَّقت عيناه ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى وضعت أقدامنا على أوَّل الطريق .

قالها ، وبدأ فى ضغط المجهر الأيونى ، متابعًا :

ـ كنت أعلم منذ البداية أن هذا الفيروس ليس غريبًا ، وأنه مجرَّد تطوير لفيروس آخر معروف ، إلا أننى لم أتوقع ، أو حتى أتخيَّل أن تأتى النتيجة على هذا النحو .. انظر .

ألقى الدكتور (سمير) نظرة على شاشة المجهر الأيونى ، وانتقل إليه حماس وانفعال الدكتور (مجدى) ، وهو يقول :

ـ رباه !.. هذا صحيح .. إننى أعرف هذا الفيروس جيدًا .. أقصد أنه يشبه ذلك الذى نعرفه كثيرًا !!

هتف الدكتور (مجدى) :

- بالضبط ..

والتقط نتيجة فحص الحمض النووى بسبابته وإبهامه ، وهو يتابع فى حماس :

- لم أكد أنظر إلى نتائج الفحص ، حتى أدركت الحقيقة كلها دفعة واحدة .. إنه هو .. نفس فيروس التهاب الكبد الوبائى ، الذى قضيت عمرى كله فى دراسة نتائجه المدمرة على البشر .. فيروس (سى) ، الذى تم تحسينه وتطويره بعبقرية فذة ، وروح شيطانية ، جاءت من أعمق أعماق الجحيم ، ليتحوَّل إلى وحش شرس شره ، ما إن يستقرّ فى خلايا الكبد ، حتى ينقل إليها شراهته للماء ، فتمتصّه بكميات هائلة ، حتى تنفجر كالبالون .. الفارق الوحيد ، الذى يتميَّز به هذا الفيروس الجديد ، هو غلافه المزدوج ، الذى منحه مناعات متعدِّدة ، غيَّرت من نمط سلوكه ، ومن قدرته على اختراق الخلايا الحية ، على نحو جعلنا نفشل فى تعرّفه للوهلة الأولى .

صمت الدكتور (سمير) بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى حزم :

- نعم .. الفارق الوحيد هو الغلاف المزدوج .

نطقها على نحو جعل الدكتور (مجدى) يلتفت إليه بنظرة متسائلة كبيرة ، فرفع عينيه إليه ، مستطردًا :

- وهنا تكمن المشكلة الحقيقيَة .

قالها ، وكل حرف منها يبنى فى أعماقه أفكارًا جديدة ..

وخطيرة ..

★ ★ ★

« الجثة احترقت بغتة ! »

نطق الدكتور (حجازى) هذه العبارة بكل توتره وانفعاله ، فحدَّق (نور) و (رمزى) و (أكرم) فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يقول الأخير فى عصبية :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟!

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، قائلاً فى صرامة :

- أعنى كل حرف نطقت به يا (أكرم) .. الجثة احترقت بغتة .. كنت أقوم بإجراء فحص أخير لها ، باستخدام الأشعة السينية ، عندما لاحظت جسمًا معتمًا ، تم زرعه فى منطقة الصدر ، وما إن انتبهت

إليه ، حتى انفجر بغتة ، وأشعل النيران فى الجثة كلها .

أشار (نور) إلى السقف ، قائلاً :

ـ المفترض فى هذه الحالة أن تعمل أجهزة إطفاء الحريق الآلية تلقائيًا ، ويتمَ إطفاء النيران .

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

ـ وهذا ما حدث بالفعل يا (نور) .

التفت الجميع إلى الدكتور (ناظم) ، الذى بدا أشدَ الجميع توترًا ، وهو يدلف إلى الحجرة ، متابعًا :

ـ أجهزة إطفاء الحريق الآلية بدأت عملها بالفعل يا (نور) ، وبعد ثلاث ثوان فحسب من بدء الاشتعال ، ولكن القنبلة نفسها كانت من نوع سريع وقوى الاشتعال ، يُطلق فور انفجاره مادة ، يدخل فى تكوينها الفسفور ، وتؤدى إلى اشتعال تام مباغت ، يمكنه التهام سطح من المعدن ، خلال ثانيتين فحسب ، لذا فقد التهمت الجثة كلها ، قبل أن تبدأ الأجهزة الآلية عملها بثانية واحدة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. ومن أين أتى ذلك الوغد بقنبلة كهذه ؟!

تنهَد الدكتور (ناظم) فى أسى ، وأجاب :

ـ منا يا ولدى .. أتى بكل أسلحته من هنا .. من مركز الأبحاث .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ يبدو يا سيدى أنه من المحتم أن تتم مراجعة إجراءات ونظم الأمن هنا ، حتى لا يتكرَر أمر كهذا ..

قلب الدكتور (نظمى) كفيه ، وقال :

ـ إجراءات الأمن هنا صارمة للغاية يا (نور) ، ولكن الدكتور (هاشم) كان أحد العلماء ، الحاصلين على بطاقة (ا) .

سأله (أكرم) فى استنكار :

ـ وما بطاقة (ا) هذه ؟!

أجابه (رمزى) هذه المرة :

ـ إنها أعلى مستوى للبطاقات الأمنية هنا ، وهى تتيح لصاحبها التجوَل فى كل مكان بالإدارة ، باعتباره شخصًا جديرًا بالثقة .

قال (أكرم) ، فى سخرية عصبية :

ـ جديرًا بالثقة ؟! هذا واضح للغاية .

ضايق أسلوبه الساخر الدكتور (ناظم) ، فقال فى حدة :

ـ هـذا الأسلـوب متبـع منـذ إنشـاء إدارة الأبحاث العلمية ، و ...

قاطعه (نور) ، قائلاً :

ـ رويدك يا دكتور (ناظم) .. (أكـرم) لم يقصد أيةّ إساءة ..

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، على نحو أوحى بأنـه سيواصل الجدل والعناد ، إلا أنـه لـم يلبـث أن استكان فجأة ، وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

أدهش تراجعه المباغت هذا (نور) بشدة ، إلا أنه شعر بالارتياح ، وهو يزيح هذه المشـكلة جانبًـا ، ويسأل الدكتور (حجازى) :

ـ قل لى يا دكتور (حجازى) .. ألم تكشف الأشعة شيئًا آخر ، مع تلك القنبلة ؟!

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ وما الذى تتوقَّع أن تكشفه يا (نور) ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أى شىء .. سبب ، يدفع الدكتور (هاشم) إلى زرع قنبلة حارقة رهيبـة كهـذه ، فـى جسـد بديلـه النفسـى ، ويعدّهـا بحيـث تشـتعل ، فـور تعرّضهـا للأشعة .. شىء أراد أن يخفيه بحرق الجثة .

قفز التوتر إلى وجوههم جميعًا ، مع هـذا الاحتمـال الجديد ، الذى طرحه (نور) ، والذى لم يدر بخلدهـم قط ، وتردَّد الدكتور (ناظم) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ ربما أراد نسف القائم على تشريح الجثة .

تدخّل (رمزى) قائلاً :

ـ لو أراد هذا لفعله ..

التفت إليه الجميع فى قلق متسائل ، فتابع بسرعة :

ـ الرجل يدرك جيدًا كل خطوة يخطوهـا ، ويتعامل طوال الوقت بدقة مدهشة ، تجعلنى أجزم بأن ما حدث هو ما كان ينشده بالضبط .. لا أكثر ولا أقل .

قال (نور) فى حسم :

ـ إننى أتفق معك تمامًا فى هذا الرأى يا (رمزى) .. الذى حدث هو ما أراده الدكتور (هاشم) بالضبط ، ولكن السؤال هنا هو لماذا ؟!

والتقى حاجباه فى حزم شديد ، وهو يضيف :

ـ لماذا كان من الضرورى أن تحترق الجثة ؟!
لماذا ؟!

تفجَّر السؤال فى أعماقهم كالقنبلة ، وحلَّق فوق رءوسهم كخفاش أسود مخيف ..

ولكنه بقى بلا جواب ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

تحرَّكت (مشيرة محفوظ) بنشاطها المعهود ، فى ردهات الطابق الأخير ، من مبنى صحيفة (أنباء الفيديو) ، تتابع كل الاستعدادات والترتيبات ، لإذاعة العدد المسائى من الصحيفة ، وهى تقول للمصورين فى حدة :

ـ كيف لم تنته استعدادات التصوير بعد ، حتى هذه اللحظة ؟! المفترض أن يبدأ البث بعد اثنتين وعشرين دقيقة .. هيا .. أسرعوا .. الشبكات المنافسة تعمل بأقصى طاقتها للتفوق علينا .

أجابها أحد المصورين فى ضيق :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا .

هتفت به :

ـ هذا لا يكفى .. ابذلوا مزيدًا من الجهد .. هيا .

بدا التبرُّم على وجوه الجميع ، فى حين ظهر مساعد المخرج ، وهو يقول :

ـ سيِّدة (مشيرة) .. لديك مكالمة عاجلة فى مكتبك .

سألته فى لهفة :

ـ من المتحدِّث ؟

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ شخص يرفض الإفصاح عن اسمه ، ولكنه يؤكِّد أن لديه خبر الموسم .

مطَّت شفتيها ، قائلة :

ـ كل شخص فى الدنيا يتصوَّر أن ما لديه هو خبر الموسم .

كانت تفكِّر فى تجاهل الأمر ، إلا أن فضولها الصحفى والأنثوى جعلها تسرع إلى حجرتها ، وتضغط زر هاتف الفيديو الخاص بها ، قائلة :

ـ أنا (مشيرة محفوظ) .. من المتحدِّث ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها التقليدية ، حتى انتفض جسدها بأكمله فى عنف ، واتسعت عيناها فى رعب هائل ،

وقفزت من مكانها ، صارخة :

ـ لا .. مستحيل !

انطلقت ضحكة ساخرة قوية من الهاتف ، حاملة صوت الدكتور (هاشم) وهو يقول :

ـ مفاجأة ، أليس كذلك ؟! أراهن على أن الرعب يملأ كل ذرة فى كيانك الآن ؛ لأنك تتصورين أنك تتحدثين إلى شبح .

هتفت بكل رعب الدنيا :

ـ ولكن .. ولكنك ميت بالفعل !! كلنا رأيناك تلقى مصرعك ، عند مركز المؤتمرات .

أجابها ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف :

ـ العباقرة أمثالى لا يموتون أبدًا يا سيدة (مشيرة) .. إنهم خالدون أبد الدهر .. أعمالهم وانتصاراتهم يحملها التاريخ إلى كل الأجيال التالية ، حتى يفنى العالم .

قالت مرتعدة :

ـ هل .. هل تعنى أنك مازلت على قيد الحياة ؟!

ضحك مرة أخرى ، قائلاً :

ـ الموت والحياة لا يصنعان فارقًا بالنسبة لى .. سأنتصر فى كل الأحوال .

حدقت فى شاشة هاتف الفيديو ذاهلة مذعورة ، وتمنت من أعمق أعماق قلبها ، أن يكون هذا مجرد حلم ، أو كابوس لن تلبث أن تستيقظ منه ، وتعود إلى عالم الواقع ..

ولكن كل شىء حولها كان يؤكد لها أنها تعيش واقعًا ..

الحلم لا يحوى قط كل هذه التفاصيل الدقيقة ..

الأثاث ، واللوحات ، والمكتب ، والهاتف ، وأوامر الطبع ، وبرنامج البث الإخبارى ..

الحلم لا يحوى كل هذا قط(*) ..

وبكل انفعالها ، سألته :

ـ لماذا اتصلت بى ؟!

أطلق ضحكة أخرى ، سرت لها قشعريرة باردة ، فى جسدها كله ، قبل أن يجيب :

ـ إننى أعلم أنك تبثين النشرة الإخبارية المسائية ، فى هذا الموعد من كل يوم ، من القاعة الإخبارية الثالثة عشرة ، لذا فقد فكرت فى تحذيرك .

(*) حقيقة علمية ، ففى الأحلام ، يكتفى العقل بتكوين التفاصيل المطلوبة للحدث فحسب ، ولا يمتد قط لرسم صورة متقنة كاملة .

سألته فى خوف حذر :

ـ تحذيرى من ماذا ؟!

أجابها فى خبث :

ـ من تلك القاعة .. ألا تعلمين أن الأوروبيين والأمريكيين يتشاءمون من الرقم (١٣)(*) ؟

حدقت فى الشاشة مرة أخرى ، قائلة :

ـ هل تمزح ؟!

أجابها فى سخرية :

ـ لا وقت للمزاح الآن يا سيدة (مشيرة) .. لا وقت للمزاح .

ثم لوح بيده ، قائلاً :

ـ والآن إلى اللقاء .

غلبتها طبيعتها الصحفية ، وهى تهتف :

ـ ولكن .. ولكنك لم تقل شيئاً .

تألقت عيناه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ على العكس يا صغيرتى .. لقد قلت الكثير .. الكثير جداً .

قالها ، وراح يطلق ضحكات ساخرة عالية ،

(*) حقيقة .

وصورته تتلاشى تدريجياً ..

أما هى ، فقد تجمدت فى مكانها لحظة ، وهى تردد :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

ثم لم تلبث أن اختطفت سماعة الهاتف الداخلى ، وهتفت فى حماس :

ـ أريد تعديل النشرة المسائية .. لدى هنا خبر بالغ الخطورة .

وتألقت عيناها فى ظفر ، وهى تضيف :

ـ خبر لن يمكنهم منعى من إذاعته قط .

قالتها ، وعيناها تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« ما الذى تفكر فى فعله بالضبط يا (نور) ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى اهتمام بالغ ، وهو يجلس إلى جوار (نور) ، فى سيارة هذا الأخير ، التى تنطلق بهما مع (رمزى) ، عائدة إلى منزل الأول ، فأجابه (نور) فى حزم :

ـ حتى هذه اللحظة ، لا يمكننا أن نحدد خطتنا

يا (أكرم) ، فنحن لا نعرف شيئًا يمكننا الارتكاز عليه ، لا زمان الضربة القادمة ولا مكانها ، ولا ندرى حتى طبيعة الجيل الجديد من الفيروس ، الذى أشار إليه فى تهديده .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، قائلاً فى حنق :

ـ كم أشعر بالغضب ؛ لأن الخيوط كلها فى يد ذلك الوغد .

قال (نور) فى حزم :

ـ لن تظل كذلك للأبد يا رجل .. أنا واثق من أننا لن نلبث أن نلتقط من وسط هذه الخيوط ، طرف الخيط ، الذى سيقودنا إليه ، إن عاجلاً أو آجلاً .

تمتم (أكرم) فى سخط :

ـ المهم أن نفعل هذا ، قبل فوات الأوان .

ضاق صدر (نور) بعبارة (أكرم) ، إلا أنه لم يحاول التعليق عليها ، وإنما زاد من سرعة سيارته على نحو تلقائى ، وكأنما يفرغ مشاعره فى دوَّاسة الوقود ، ولكن (رمزى) شعر بما يعتمل فى نفسه ، بحكم خبرته فى الطب النفسى ، فقال محاولاً جذب انتباهه إلى اتجاه آخر :

ـ ما يدهشنى حقًّا هو أنه لم يحاول تحذيرنا حتى الآن .

غمغم (نور) :

ـ ربما لم يستعدّ للضربة القادمة بعد .

هزَّ (رمزى) رأسه ، وقال :

ـ هذا أيضًا يدهشنى يا (نور) ، فرجل مثله سيعدّ لكل شىء عدته منذ البداية ، ولن يترك أى شىء للظروف .

سأله (نور) فى اهتمام قلق :

ـ إذن فأنت تعتقد أن ضربته القادمة معدَّة بالفعل .

أشار (رمزى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ومنذ اللحظة الأولى .

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم سأل :

ـ ألا يمكنك أن تتوقَّع نمط تلك الضربة ؟!

أجابه (رمزى) بسرعة :

ـ إعلامية .

انعقد حاجبا (أكرم) فى توتر ، وهو يقول :

ـ ولماذا إعلامية بالتحديد ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ لأنه يحتاج إلى إعلان وجوده على نحو عنيف .. يريد أن يعلم العالم كله أنه خدعنا ، وهزمنا ، وأننا لم نظفر به حقًا ، عندما تصورنا هذا ، لذا فمن المحتم أن يبحث عن وسيلة لربط ضربته القادمة بضربة إعلامية قوية .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

ـ مثل أى مكان يحاط فى المعتاد باهتمام إعلامى .. سيضرب ضربته فى منطقة سياحية ، أو أحد المبانى الحكومية ، أو ..

قاطعه فجأة أزيز هاتف سيارته الخاص ، فالتقط سماعته ، وتطلع إلى شاشته ، التى تضاء تلقائيًا فور التقاط السماعة ، وقال :

ـ ماذا هناك ؟!

ظهرت على الشاشة صورة زوجته (سلوى) ، وهى تقول فى اضطراب :

ـ (نور) .. تابع النشرة الإخبارية لـ (أنباء الفيديو) بسرعة .

اعتدل (أكرم) ، قائلاً :

ـ ولماذا (أنباء الفيديو) بالتحديد ؟! ماذا حدث ؟!

لم ينتظر (نور) حصول (أكرم) على جواب شاف ، وإنما أسرع يضغط زرًا صغيرًا ، فى قاعدة الهاتف ، فتلاشت شاشته على الفور ، وتحولت إلى شاشة تليفزيونية ، ظهرت عليها (مشيرة) ، داخل قاعة التصوير الثالثة عشرة ، وهى تقول ، متابعة حديثًا لم يلتقطوا بدايته :

ـ ولكن (أنباء الفيديو) تنفرد بسبق صحفى لا مثيل له .. تنفرد بإعلان أن الدكتور (هاشم صدقى) ما زال على قيد الحياة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطقت عبارتها الأخيرة ، وانحرف بالسيارة فى سرعة ، ليتجه نحو مبنى الجريدة القريب ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ اللعنة !.. كيف علمت هذا ؟!

فتمتم (رمزى) :

ـ أخشى أن ..

لم يحاول إتمام عبارته ، وهو يتابع الشاشة فى اهتمام بالغ ، و (مشيرة) تستطرد :

ـ اليوم ، ومنذ أقلَ من عشرين دقيقة من الآن ، اتصل بى الدكتور (هاشم) شخصيًا .

تراجع (رمزى) فى مقعده بحركة حادة ، وازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يزيد من سرعة سيارته أكثر وأكثر ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ اتصل بها شخصيًا ؟! ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟! ما الذى يعنيه ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتجه بأقصى سرعة نحو مبنى جريدة (أنباء الفيديو) ، الذى بدا شامخًا عند الناصية :

ـ لقد حدَّد الرجل ضربته القادمة .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وانحبس صوته ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، قبل أن يصرخ فجأة :

ـ لا .. ليس (مشيرة) .

انطلقت صرخته ، وهو يدفع الباب المجاور له ، ويثب من السيارة ، قبل أن تتوقَّف ، فصاح به (نور) :

ـ انتظر أيها المجنون ..

ولكن (أكرم) لم يستمع إليه ، ولم يبال بما يمكن أن يحدث ..

لقد وثب إلى الأرض ، فاختلَ توازنه ، وسقط متدحرجًا فوقها لحظةً ، إلا أنه وثب واقفًا على قدميه بسرعة بالغة ، وانطلق يعدو نحو المبنى ..

وارتفع حاجبا حارس المبنى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أستاذ (أكرم) ؟! لماذا تعدو على هذا النحو ؟!

وثب (أكرم) يتجاوزه ، وهو يصرخ :

ـ لا وقت للشرح يا رجل .. لا وقت .. أخل المبنى بأقصى سرعة ..

هتف الحارس ذاهلاً :

ـ ماذا تقول يا أستاذ (أكرم) ؟!

لم يكن (أكرم) مستعدًا لإضاعة لحظة واحدة ، فتجاهل الرجل تمامًا ، ودفع المنتظرين أمام المصعد فى غلظة ، هاتفًا :

ـ المصعد معطل أيها السادة .. هيا .. عودوا إلى منازلكم .

قالها ، ووثب داخل المصعد ، وضغط زر الطابق الأخير ، وهو يصرخ فى وجه الآخرين ، الذين امتزجت دهشتهم بذعرهم :

ـ قلت : عودوا إلى منازلكم .. هيا .

انطلق به المصعد الهيدروليكى بسرعة مدهشة ، إلى الطابق الأخير ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (نور) و (رمزى) إلى المبنى ، وصاح الأوَّل فى الجميع .

ـ إلى الخارج جميعًا .. هناك قنبلة ستنفجر فى المبنى بعد لحظات .

انطلقت صرخات الرعب والفزع فى المكان ، وراح الجميع يغادرونه فى هلع ، عبر بوابته الواسعة ، فى حين قال (رمزى) متوترًا ، وهو يعدو إلى جوار (نور) ، نحو المصعد الثانى :

ـ (نور) .. ليس بالضرورة أن تكون الجريدة هى هدفه .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لا يوجد تفسير آخر يا (رمزى) ، وإلا فلماذا أجرى اتصاله بـ (مشيرة) وليس بنا ؟! ثم إن هذا

يحقِّق له كل المطلوب .. ضربة قوية ، فى أثناء بث النشرة المسائية ، التى يتابعها الجميع فى شغف .. أية دعاية يمكن أن تفوق هذا ؟!

لاذ (رمزى) بالصمت ، ولم يحاول مناقشته ، فقد بدا له منطقه سليمًا للغاية ، والمصعد الآخر يحملهما إلى الطابق الأخير ..

إلى مسرح الضربة القادمة ..

وفى قاعة التصوير ، كانت (مشيرة) تتابع نشرتها الشهيرة ، عندما لاحظت توترًا غير عادى ، خارج القاعة ، عَبْر جدرانها الزجاجية السميكة ، فحاولت أن تتجاهله ، لتحتفظ بابتسامتها المشرقة ، وتواصل تقديم نشرتها ، و ..

وفجأة ، اقتحم (أكرم) المكان ، وهو يهتف :

ـ غادروا المكان .. أسرعوا .

احتقن وجهها بشدة ، وتفجَّر فى أعماقها غضب هائل ، وهى تقول ذاهلة :

ـ (أكرم) ؟!

كانت آلات التصوير تواصل عملها ، عندما عبر باب القاعة دون استئذان ، وجذب (مشيرة) إليه ، هاتفًا :


وهوت بين ذراعيه فاقدة الوعى ، فحملها فى سرعة ، وانطلق بها خارج القاعدة ..

- أسرعى .. لابد أن نغادر هذا المكان .

جذبت يدها منه فى عنف ، صائحة :

- (أكـرم) ؟! هل جننت ؟! إننا نبث على الهواء مباشرة !

ثم التفتت إلى المصورين ، مستطردة فى حدة :

- أوقفوا البث .

ولكن أحدًا لم يستمع إليها ؛ فقد بدا الأمر مثيرًا للغاية ، بالنسبة لمخرج البرنامج ، الذى أشار إليهم بمواصلة البث ، على الهواء مباشرة ، و(أكـرم) يصيح بها :

- على الهواء أو المـاء ، هـذا لا يعنينى على الإطلاق .. المهم أن تغادرى هذا المكـان .. بـل أن تغادروه جميعًا ، قبل أن تقع الكارثة .

صرخت فيه :

- لن أغادر المكان ، وأقسم أن ..

قبل أن تتمّ عبارتهـا ، دار على عقبيه بسـرعة ، وهوى على مؤخرة عنقهـا بحافـة يـده ، فجحظت عيناها ، وهوت بيـن ذراعيه فـاقدة الوعى ، فحملها فى سرعة ، وانطلق بها خارج القاعة ، هاتفًا :

ـ كفى أيها الأوغاد .. كفى .. أوقفوا البث ، وغادروا المكان بأقصى سرعة .

وصل (نور) إلى المكان ، قبل أن ينتهى هتافه ، فلوّح بمسدسه الليزرى ، صائحًا :

ـ غادروا المكان بسرعة .. هناك قنبلة سوف ..

قبل أن يواصل ، انطلق فجأة أزيز جهاز إنذار فى المكان ، ثم تحرّك باب القاعة بسرعة مدهشة ، ليغلقها على من داخلها فى إحكام ..

وفى مرارة ، هتف (نور) :

ـ رباه ! وصلنا بعد فوات الأوان .

كان الجميع فى القاعة قد أصيبوا بالذعر ، فتركوا آلاتهم تعمل ، وراحوا يدقون على الجدران الزجاجية ، صارخين :

ـ أخرجونا من هنا .. لا تتركونا داخل هذا القفص الزجاجى .

استلّ (أكرم) مسدسه التقليدى ، وهو يهتف :

ـ على الرحب والسعة .

وصوّب مسدسه إلى أحد الجدران الزجاجية ..

وأطلق النار ..

وأصابت رصاصاته كلها الجدار الزجاجى ، إلا أنها ارتدّت عنه فى عنف ، جعل (نور) يهتف :

ـ يا إلهى ! إنه زجاج مضاد للرصاص .

مع آخر حروف كلماته استدار المصورون والمخرج ، الذين سجنوا داخل القاعة ، إلى فتحة التهوية ، وكأنما سمعوا عبرها صوتًا ما ، حجبته الجدران الزجاجية السميكة عن (نور) ورفيقيه ، اللذين وجموا بغتة ، وهم يحدقون فى القاعة ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ ربَّاه ! لقد فعلها الرجل .

وانطلق نحو الباب ، وأطلق عليه أشعة مسدسه الليزرى ثلاث مرات متتالية ، لم تؤثر فى رتاجه قط ، فى حين بدا له الرجال داخل القاعة ، وقد ارتسم على وجوههم ذعر هائل ، ثم أخذوا يصرخون فى ألم ورعب ..

واتسعت عيون (نور) و (رمزى) و (أكرم) عن آخرها ..

فقد كان ما يحدث ، داخل القاعة الثالثة عشرة أمرًا رهيبًا ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★

٤ - الكـارثـة ..

« مرحبًا بك فى (مصر) يا سيِّد (سام) .. »

ارتسمت ابتسامة هادئـة بريئـة ، علـى وجـه عميـل المخابرات الأمريكية (سام بالدويل) ، وهو يتسلَّم جـواز سفره من ضابط الجوازات المصرى ، ويجيبه فى سرعة :

- أشكرك أيهـا الضـابط ، أنـا واثـق أن إقـامتى هنـا ستروق لى كثيرًا .

وافقه ضابط الجوازات بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- أتمنى لك إقامة طيبة يا سيِّد (سام) .

حمـل (سـام) حقيبتـه الصـغيرة ، وألقـى نظـرة سريعة على لافتة كبيرة ، تحمل الآية الكريمة :

« ادخلـوا مصر إن شـاء اللـه آمنين »(*) ، وهـو يتجاوز الحاجز الأمنى إلى خارج المطار الجديد ، وملأ صدره بهواء (مصر) عن آخره ، ثم زفر مغمغمًا :

(*) القرآن الكريم ، الآية (٩٩) من سورة (يوسف) : بسم اللـه الرحمن الرحيم « وقـال ادخلـوا مصر إن شـاء اللـه آمنيـن » صدق الله العظيم .

- أنا أيضًا أتمنى إقامة طيبة يا رجل .

كان المطار الجديد يبدو هادئـًا نسبيًا ، ولكنـه ظلَّ يقف فى مكانه ، يدير عينيه فيما حوله ، كما لو كـان فى انتظـار شـخص مـا ، حتـى اتجهت نحـوه سـيارة كبيرة ، وتوقَّفت أمامـه مباشـرة ، وهبط سـائقها فـى حلة أنيقة ، لينحنى أمامه ، قائلاً بالأمريكية(*) :

- معذرة يـا مسـتر (بـالدويل) .. الطـائرة وصلـت قبل موعدها ، وأنا ..

قاطعه (سام) فى صرامة :

- لا عليـك يا رجـل .. طـائرات هـذه الأيـام تنطلق بسرعات كبيرة ، علـى نحـو يجعلهـا تصل مبكـرة فـى المعتاد .

ثم تطلَّع إلى عينيه مباشرة ، مستطردًا :

- ولكن لماذا ترتدى رباط عنق أسود ؟!

كـان ربـاط عنـق الرجـل أحمـر زاه ، علـى نحـو قـد يوحـى لأى مستمـع قريـب بأن (سـام) مصاب بعمى

(*) فى التراجم الرسمية ، تعتبر الأمريكية لغة منفصلة عن الإنجليزية .

الألوان(*) ، ولكن الرجل ابتسم فى هدوء ، وانحنى ، قائلاً :

- معذرة يا مستر (بالدويل) ، ولكن رباط عنقى أخضر اللون فى الواقع .

ومن الطبيعى أن أى مستمع لهذا الحوار ، كان سيتصورَ أن الرجلين مصابان بالجنون حتمًا ، مالم يدرك أن العبارات المتبادلة كانت كلمة السر المتفق عليها ، ليتأكد (سام) من أن ذلك الذى استقبله ، هو نفسه مندوب جهاز مخابراته ، مما جعله يدلف إلى السيارة على الفور ، وهو يسأل الرجل :

- هل من تطورات جديدة ؟!

قاد الرجل السيارة ، مجيبًا :

- بالتأكيد يا مستر (بالدويل) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجة خاصة :

- لقد ظهر الدكتور (صدقى) ثانية .

(*) عمى الألوان : عدم الإدراك الطبيعى للألوان ، وله أشكال ودرجات مختلفة ، ولكن أكثرها شيوعًا (البروتانوبيا) ، وهى عدم القدرة على رؤية اللون الأحمر ، و (الديترانوبيا) وهى عدم القدرة على التفرقة بين اللونين : الأحمر والأخضر ، وتوجد طرق متعدّدة للكشف عن عمى الألوان ، ولقد أصبحت له أهمية اجتماعية ملحوظة ، مع ظهور واستخدام إشارات المرور .

التقى حاجبا (سام) فى شدة ، وهو يقول :

- ظهر ثانية ؟! ما الذى تقصده يا رجل ؟!

أجابه السائق :

- منذ ربع الساعة فحسب ، أعلنت جريدة (أنباء الفيديو) الشهيرة أن الرجل مازال على قيد الحياة ، وأنه اتصل شخصيًا بالمذيعة المعروفة (مشيرة محفوظ) .

قال (سام) فى توتر :

- هراء .. إنها مجرَّد محاولة من الجريدة ، لكسب عدد أكبر من المشاهدين .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الرجل ، وهو يقول :

- ربما ، ولكن هل تعتقد أنه من الممكن أن تتمادى الجريدة فى محاولتها ، إلى هذا الحد .

سأله (سام) فى حذر :

- أى حد تقصد يا رجل ؟!

ضغط السائق زر الاستعادة ، المتصل بجهاز عرض خاص ، قائلاً :

- هذا الحد .

بدا اهتمام بالغ على وجه (سام) ، وهو يتابع على الشاشة تسجيلاً لما بثته (أنباء الفيديو) ، عندما اقتحم (أكرم) قاعة التصوير ، وانتزع منها (مشيرة) فى عنف ، وحاول إقناع الآخرين بمغادرتها ، حتى تم إغلاق بابها آليًا ، فأصاب الفزع من فيها ، و ...

وفجأة ، أصابهم شىء عنيف ، لم ترصده آلات التصوير ، ولكنه جعل عيونهم تجحظ فى ارتياع ، وأصابهم بذعر وألم رهيبين ، فراحوا يصرخون ، ويجرون من مكان إلى آخر ، ويدقون الجدران الزجاجية بقبضاتهم ، ثم راحت بطونهم تنتفخ وتنتفخ ، فى سرعة مخيفة ، وانتفخت معها وجوههم ، واحتبست صرخاتهم فى حلوقهم ..

ثم انفجروا ..

نعم .. إنك لم تخطئ قراءة الكلمة ..

وهى ليست خطئًا مطبعيًا ..

لقد انفجر الرجال بالفعل ، كما لو أنهم بالونات مملوءة بالدم ، ثقبها دبوس حاد ..

فجأة ، تمزّقت جلودهم ، وانبقرت بطونهم ،

وانطلقت دماؤهم تغمر الجدران الزجاجية ، فى أبشع مشهد يمكن أن يشاهده بشرى ..

ولثوان واصلت آلات التصوير نقل المشهد الرهيب ، على الرغم من الدماء التى حجبت جزءًا كبيرًا من عدستها ، قبل أن ينقطع البث ..

ولثوان أيضًا ، ظلّ (سام) يحدِّق فى الشاشة ، قبل أن يدير عينيه إلى السائق ، قائلاً فى عصبية :

- هل تمّ بث هذا علانية ؟!

أومأ الرجل برأسه ، إيجابًا ، وقال :

- وشاهدته (مصر) كلها ، وأكثر من نصف دول العالم ، عبر شبكة الأقمار الصناعية ، مما أثار موجة لا مثيل لها من الذعر والفزع ، على نحو جعل الناس يقبعون فى بيوتهم ، ويخشون مغادرتها ، حتى لا تصيبهم عدوى ذلك الفيروس الرهيب .

تراجع (سام) فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، واستغرق بضع لحظات فى تفكيرعميق ، قبل أن يسأل :

- وماذا عن الموقف الرسمى ؟!

أجابه السائق :

- لم يتحدَّد بعد .. الحكومة لم تصدر بيانًا رسميًّا ، أو تعلق على الموقف ، ولكننى أعتقد أنهم سيحاولون تكذيب ما حدث ، وسيدَّعون أنها مجرَّد خدعة من جريدة (أنباء الفيديو) .

مطَّ (سام) شفتيه ، مغمغمًا :

- هل تعتقد هذا ؟!

ثم استغرق مرة أخرى فى تفكير عميق ، وغمغم فى خفوت ، وكأنه يتحدَّث مع نفسه :

- لو أن الرجل مازال على قيد الحياة حقًّا ، فهذا يعنى الكثير ، إذ إن العثور عليه يفوق الحصول على الفيروس أهمية .. ثم إن هذا المشهد ، الذى بثته (أنباء الفيديو) ، يوحى بحدوث تطوير رهيب فى ذلك الفيروس .. لقد أصيب به الرجال ، دون أن يتناثر أى سائل على أجسادهم ، ثم إن ما أصابهم يفوق كثيرًا ما أصاب ذلك الشخص ، الذى لقى مصرعه عند مركز المؤتمرات ، وهذا يعنى وجود فيروس جديد أشدّ خطورة ..

وتنهَّد فى عمق ، متابعًا :

- فيروس يمتلك سره الرجل نفسه .. الدكتور (هاشم صدقى) .

قالها ، وزوى ما بين عينيه فى تفكير عميق للغاية ، جعل السائق يتمتم :

- هل تعتقد أن الأمر يحتاج إلى خطة جديدة ؟!

أومأ (سام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد يا رجل .. بالتأكيد .. الأمر أصبح يحتاج إلى خطة مزدوجة .. خطة لضرب عصفورين برجل واحد .. الفيروس والرجل .

قالها ، وتراجع فى مقعده ، وعاد يغرق فى تفكير عميق .. عميق ..

إلى أقصى حد ..

* * *

امتقع وجه الدكتور (سمير حافظ) ، وهو يشاهد ذلك التسجيل ، لكارثة (أنباء الفيديو) ، ورفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً بصوت مرتجف :

- وماذا فعلتم ؟! أية إجراءات اتخذتموها ، بعد أن حدث ما حدث ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- عزل صحى كامل .. تم إخلاء المبنى كله ، وإحاطته بخيمة معقَّمة ، وأُخليت المبانى المجاورة له

من كل جانب ، أما القاعة التى حدث فيها هذا ، فقد عزلناها على نحو خاص ، وسيقوم الدكتور (حجازى) بفحص الجثث وتشريحها ، دون نقلها خارج المكان .

حدَّق الدكتور (سمير) فى الشاشة ، قائلاً :

ـ أية جثث يا دكتور (ناظم) ؟! ما أراه على الشاشة مجرَّد أشلاء متناثرة ، يصعب تمييز من تنتمى إليه .

عضَّ الدكتور (ناظم) شفته السفلى فى مرارة ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح للأسف يا دكتور (سمير) .. من الواضح أن ذلك الجيل الجديد من الفيروس أكثر خطورة .

أطلق الدكتور (سمير) ضحكة ساخرة عصبية ، وقال :

ـ أكثر خطورة ؟! يا لها من عبارة متواضعة ! الوصف الصحيح لهذا الفيروس الجديد هو أنه كارثة يا دكتور (ناظم) .. مصيبة .. قطعة من قلب الجحيم ، ألقاها إلينا ذلك الشيطان .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع وهو يقول :

ـ يا إلهى ! إلى هذا الحد ؟!

أجابه الدكتور (سمير) :

ـ وربما أكثر من هذا يا دكتور (حجازى) .. إننى أبدى رأيى من مجرَّد مشاهدة عرض مسجَّل ، يبدو من الواضح فيه أن (هشيم ـ ٢) يتفوَّق على جيله الأوَّل فى سرعة ظهور الأعراض ، التى لم تعد تقتصر على إصابة الكبد وحده ، وإنما تمتدّ إلى كل شرايين وأوردة الجسم ، ثم إنه ـ وهذا هو الأكثر خطورة ـ لم يعد يحتاج فى انتقاله إلى ملامسة الجسم ، وإنما أصبح ينتقل بوساطة الهواء مباشرة .

صاح الدكتور (ناظم) فى رعب :

ـ يا إلهى ! هل تعتقد هذا حقًا ؟!

هزَّ الدكتور (سمير) رأسه فى أسى ، وقال :

ـ بل هذا هو التفسير الوحيد ، حتى هذه اللحظة ، فالفيلم يوضِّح أن باب القاعة تم إغلاقه أوَّلاً ، وبعدها التفت الجميع إلى فتحة التهوية ، ثم بدأ الرعب ..

غمغم الدكتور (ناظم) فى توتر بالغ :

ـ ربما حـ ...

لم يستطع إتمام عبارته ، واتسعت عيناه فى ارتياع ،

عندما بدا له تفسير الدكتور (سمير) منطقيًا إلى حد مخيف ، وهتف :

- ربَّاه ! هذا يعنى أن العدوى يمكن أن تنتشر فى الهواء ، ليسقط معها مئات .. بل آلاف الضحايا .

عضَّ الدكتور (سمير) شفته السفلى ، قائلاً :

- بل قل ملايين أو مليارات ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى ارتياع :

- فمع سرعة التكاثر المخيفة لذلك الفيروس (هشيم - ٢) وقدرته على نقل العدوى بوساطة الهواء ، يكفى أن تطلق سنتيمترًا واحدًا منه ، ليغمر هواء العالم كله ، خلال أشهر معدودات ، وهذا سيعنى حتمًا الفناء ..

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- فناء العالم أجمع .

تراجع الدكتور (ناظم) بحركة غريزية ، وغمغم :

- ربَّاه ! إنها كارثة .. كارثة رهيبة .

ثم انعقد حاجباه ، وأمسك كتف الدكتور (سمير) فى قوة ، مستطردًا :

- ما لم ننتج مصلاً واقيًا فى الوقت المناسب .

واكتسب صوته رنة حازمة ، مع إضافته :

- وفى هذا الشأن كلنا نعتمد عليك يا دكتور (سمير) .

احتقن وجه الدكتور (سمير حافظ) ، وهو يتطلَّع إليه فى صمت ، وقد شعر بثقل المسئولية يجثم على كتفيه ..

وكان ثقلاً رهيبًا ..

وقاسيًا ..

★ ★ ★

بكت (مشيرة) طويلاً ، حتى خُيِّل للجميع أنها قد استنفدت دموعها كلها ، وراحت تردِّد فى ألم وانهيار:

- مستحيل !.. إنه وحش .. سفاح .. حقير .. كيف يقتلهم جميعًا بهذا العنف والقسوة .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول ، دون أن يلتفت إليها :

- أنت تحملين جزءًا من المسئولية يا (مشيرة) .

انتفضت فى عنف ، هاتفة :

- أنا ؟!

التفت إليها فى حركة حادة ، تشفّ عما يعتمل فى أعماقه من غضب ، ولوّح بسبّابته فى وجهها ، صائحًا :

- نعم يا (مشيرة) .. أنت تحملين الجزء الأكبر من المسئولية .. مسئولية مصرع رفاقك ، على هذا النحو البشع .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وراح جسدها يرتجف فى رعب ، وهى تردّد :

- أنا ؟! أنا المسئولة عن مصرعهم ؟!

اندفع (أكرم) نحو (نور) ، قائلاً فى حدة :

- اترك زوجتى وشأنها يا (نور) ، كفاها ما تحمّلته من ألم وعذاب .

استدار إليه (نور) ، صائحًا فى غضب هادر :

- زوجتك تصرّفت بطريقة تفتقر إلى الإحساس بالمسئولية يا (أكرم) .. لقد اتصل بها الدكتور (هاشم) ، وبدلاً من أن تبلغنا الأمر على الفور ، لنتخذ الاحتياطات اللازمة ، ونحاول إحباط مخططه ، قرّرت أن تحتفظ بالأمر لنفسها ، وتخفيه عنا ؛ لتفوز بسبق صحفى سخيف .

ارتجفت شفتاها ، وهى تقول :

- كنت .. كنت أخشى أن تمنعونى من إذاعة الخبر .

أجابها فى غضب :

- بالضبط .. وهذا ما أطلق عليه اسم عدم الإحساس بالمسئولية .. انظرى جيدًا إلى ما فعلته فرديتك ، وتغليبك لمجدك الشخصى على المصلحة العامة .. لقد لقى سبعة من الأشخاص مصرعهم ، بأبشع وسيلة ممكنة ، وكان من الممكن أن تكونى ثامنتهم ، لولا أننا كنا قريبين منك ، إلى الحد الذى سمح لزوجك بإنقاذك ، فى اللحظة الأخيرة .

ألقت وجهها بين كفيها ، وانفجرت باكية ، وهى تقول :

- لم أكن أقصد إيذاء أحد .. صدقونى .. لم أقصد إيذاء أى مخلوق .

عضت (سلوى) شفتها فى أسى ، وانحدرت دموع (نشوى) فى صمت ، فى حين قال (رمزى) فى شىء من العصبية :

- كفى يا (نور) .

ولكن (نور) واصل فى حدة :

ـ الطريق إلى الجحيم مفروش دائمًا بالنوايا الطيبة ، ونتائج عملك واضحة جلية .. مصرع سبعة أشخاص ، وموجة لا مثيل لها من الذعر ، انتشرت فى طول البلاد وعرضها ، واللَّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما يمكن أن تؤدى إليه .

كرَّر (رمزى) فى عصبية أكثر :

ـ كفى يا (نور) .

وقال (أكرم) فى غضب :

ـ (نور) .. لن أسمح لك بإيذائها أكثر من هذا .

ولكن (نور) تجاهلهما تمامًا ، من فرط غضبه ، وهو يتابع :

ـ كم أبغض ذلك الإحساس بالذات ، عندما ينمو ، ويتعاظم ، ليتحوَّل الإنسان معه إلى كائن نرجسى ، لا يرى فى الدنيا كلها سوى مرآة ، تعكس صورته وحده .

صاح به (رمزى) هذه المرة :

ـ كفى بالله عليك يا (نور) .. ألا ترى أنها على وشك الإصابة بانهيار عصبى تام ؟!

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وأشاح بوجهه عنها ، قائلاً :

ـ فلتحمد اللَّه (سبحانه وتعالى) على هذا ، فلولا رحمته ، لما كانت على قيد الحياة لتصاب به .

هتف (أكرم) فى غضب هادر :

ـ لا يا (نور) .. لقد تجاوزت كل الحدود هذه المرة .

ثم جذب زوجته من يدها ، مستطردًا :

ـ هيا يا (مشيرة) يبدو أنه لا مكان لنا هنا .

ارتبكت (سلوى) ، وأسرعت تقول :

ـ على العكس يا (أكرم) .. أنتما على الرحب والسعة هنا .

رمق (أكرم) (نور) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـ ربما ، ولكننى أفضِّل أن نعود إلى منزلنا فى الوقت الحالى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ إلى أين ؟! مهمتك هنا لم تنته بعد .

أجابه (أكرم) فى حدة ، وهو يقود (مشيرة) إلى الخارج :

ـ مهمتى الأولى فى الحياة ، هى العناية بزوجتى ورعايتها .

قال (نور) فى غضب :

- نـداء الواجـب يجبَ كل شىء ، ثم إنك عضو رسمى بالفريق ، ولا يحق لك الانسحاب ، قبل أن ..

قاطعه (أكرم) فى ثورة :

- يمكنك أن تعتبرنى مستقيلاً .

احتقن وجه (نور) ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، حتى انصرف (أكرم) مع (مشيرة) ، وصفق البـاب خلفه فـى عنف ، وران علـى المكـان بعدهـا صمت رهيب ثقيل ، قطعته (نشوى) ، وهى تغمغم :

- أبى .. إنها أوّل مرة أراك فيها قاسِيًا إلى هذا الحد .

أجابها فى صرامةَ :

- الأمر أكثر خطورة من أن يحتمل أية مجاملات يا (نشوى) :

وصمت لحظة ، ثم استطرد في غضب :

- ثـم إننـى أبغض الأنانيـة ، التـى تـودى بحيـاة الآخرين .

قال (رمزى) فى ضيق :

- ولكـن أسلوبك هـذا دفـع (أكـرم) للخروج من الفريق يا (نور) .

عاد (نـور) إلـى الصمت لدقيقة كاملـة ، قبل أن يقول :

- (أكرم) تصرّف بدافع من عواطفه ، وليس عـن اقتنـاع منطقى بـالأمر ، ولـو أنـه يرفض تلبيةَ نـداء الواجب ، فـى مثل هذه الظروف ، فهـو لـن يستحق الانضمام إلى فريقنا .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، قبل أن تتمتم (سلوى) :

- قدَّر اللّه ، وما شاء فعل .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وكتمه فى صدره بضع ثوان ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه الثائرة ، ثم أطلقه فى شكل زفرة حارة ، وقال :

- والآن يا رفاق ، علينا أن نعيد دراسة الموقف ، بنـاء علـى المعطيات الجديـدة .. لقـد ضـرب الرجـل ضربته الجديدة بالفعل ، وبأسلوب جديد أيضًـا ، فبدلاً من أن يتصل بنا ، ويلقى إلينا لغـزًا كالمعتـاد ، اكتفـى بالاتصال بـ (مشيرة) .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- كانت هذه أيضًا وسيلة للاتصال بنا يا (نور) .

التفت إليه (نور) متسائلاً ، فتابع بلهجة خبير :

- عندما أجرى الدكتور (هاشم) اتصاله بـ (مشيرة) ، كان يتوقَّع اتصالها بنا ، وبهذا كنا سنتلقَّى التحذير الأوَّل عن طريقها ، وسنفهم منه أن جريدة (أنباء الفيديو) هى الهدف القادم .

صمت (نور) لحظة ، ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها :

- هل علمت كيف فعل هذا ؟!

أجابته بسرعة ، وكأنها كانت تنتظر السؤال :

- برنامج كمبيوتر تم إعداده مسبقًا ، بحيث يُغلق باب القاعة فى لحظة محدودة ، ثم يشعل قنبلة صغيرة ، تكفى لتفجير قارورة ، تحوى الفيروس الجديد ، داخل فتحة التهوية .

استمع إليها (نور) فى اهتمام ، ثم قال :

- برنامج كمبيوتر مسبَق .. من المؤكَّد أن هذا الرجل يجيد التعامل مع أجهزة الكمبيوتر ، ويجيد الاستفادة منها إلى أقصى حد .

غمغمت (سلوى) :

- ووسائل الاتصال أيضًا .

التفت إليها (نور) ، يسألها :

- ألم يمكنك التوصُّل إلى شىء بهذا الخصوص ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- لم أحصل على فرصة لذلك بعد ، فلقد أجرى اتصاله بك ، عَبْر شفرة الاتصال الخاصة ، وأجرى اتصاله بـ (مشيرة) من هاتف داخلى ، وفى المرتين لم تكن لدى فرصة التقاط الاتصال ، أو التعامل معه .

تدخَّل (رمزى) ، قائلاً :

- إنه يقصد هذا أيضًا .

سأله (نور) :

- هل تثق تمامًا بأنه يعنى كل خطوة يخطوها ، وأنه لايرتكب ولو هفوة واحدة ؟

أجابه (رمزى) :

- من الواضح أن الرجل قد درس الأمر جيدًا يا (نور) ، كلاعب شطرنج من الطراز الأوَّل ، وأعد العدة لكل الاحتمالات الممكنة .

قال (نور) فى حزم :

- ربما يا (رمزى) ، ولكن اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده معصوم من الخطأ ، وكل بشرى ، مهما بلغت عبقريته ، لابد أن يرتكب ولو هفوة واحدة ،

ومهمتنا أن ننبش ، ونبحث ، وننقّب ، حتى نقع على تلك الهفوة ، وننطلق منها إليه ، لندق عنقه ، ونمنعه من مواصلة شروره هذه .

تنهّد (رمزى) ، مغمغمًا :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا يا (نور) .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أخشى أن هذا لم يعد يكفى يا (رمزى) .. لقد كشّر خصمنا عن أنيابه ، وأبرز مخالبه الحادة ، وخرج إلينا بفيروس جديد ، يفوق سابقه كثيرًا ، وصار علينا أن نبذل ما يفوق قصارى جهدنا ، حتى نظفر به فى الوقت المناسب ، قبل أن نخسر كل شىء ، ويخسر العالم كله معنا أمنه وسلامته .. و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

ـ وحياته .

وَجَمَ ثلاثتهم لكلمته الأخيرة ، وتبادلوا نظرة متوترة للغاية ، ثم غمغمت (نشوى) ، بصوت حمل كل توترها وقلقها :

ـ ربما لا تصل الأمور إلى هذا الحد يا أبى ، وإذا ما عجزنا عن التوصُّل إليه ، قبل الموعد المحدود ،

يمكن أن يتظاهر السيِّد رئيس الجمهورية بالاستقالة ، و ...

قاطعها فى حدة :

ـ مستحيل !

ارتبكت مغمغمة :

ـ أقصد مجرَّد التظاهر يا أبى .

قال فى صرامة عصبية :

ـ لا يوجد تظاهر فى مثل هذه الأمور يا (نشوى) ، استقالة رئيس الجمهورية أمر علنى ، يعنى استسلام الدولة لذلك الشيطان المبتز ، وهذا إجراء لا هزل فيه ولا يخضع للتظاهر والتحايل .. إنها (مصر) يا رفاق .. (مصر) التى أنجبتنا ، ومنحتنا كل ما حصلنا عليه ، حتى لحظتنا هذه .

وحمل صوته كل حزمه ، وعزمه ، وصلابته ، وإصراره ، وهو يضيف :

ـ (مصر) التى لا نتردَّد لحظة واحدة فى الذود عنها بحياتنا وأرواحنا .. (مصر) يا رفاق .. (مصر) .

بثت كلماته فى عروقهم حماسًا منقطع النظير ، جعل (سلوى) تقول :

- هناك وسيلة حتمًا لكشف شبكة اتصالاته يا (نور) .

وقالت (نشوى) ، وهى تنهض إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها :

- أنت على حق يا أبى .. الله (سبحانه وتعالى) وحده المعصوم من الخطأ ، ومن المحتم أن يرتكب الدكتور (هاشم) هذا ولو هفوة واحدة .

أضاف (رمزى) فى حماس :

- أراهن على أنه سيتبع نمطًا ما .. هذه طبيعته .. إنه شديد التنظيم ، حتى إنه لا يستطيع القيام بأى عمل عشوائى .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (نور) ، وهو يقول فى اقتضاب :

- بالضبط .

ثم سأل فى اهتمام مباغت :

- قل لى يا (رمزى) : هل تجد فى طبيعة الرجل تفسيرًا منطقيًا ، لإغلاق القاعة ، قبل إطلاق الفيروس ؟!

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، وهو يجيب :

- كنت أظن أن السبب واضح يا (نور) .. لقد أراد منع المصابين من الخروج من القاعة ، حتى تظهر عليهم الأعراض حتى النهاية ، أمام عدسات التصوير .

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

- كان يمكنه اختيار حاجز القضبان ، لتحقيق الغرض نفسه ، وهو حاجز معدنى ، يتكوَّن من قضبان فولاذية ، يمكن أن يهبط ليغلق القاعة ، فى حالة الخطر ، وكان سيكفى لاحتجاز الرجال السبعة داخلها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اختار (هاشم) باب القاعة ، المصنوع من الزجاج السميك ، والمعدّ بحيث يحجب الأصوات عنها ومنها تمامًا ، وهذا يعنى أنه غير منفذ للهواء .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- ما الذى تقصده بالضبط يا (نور) ؟! ما الذى تحاول الإشارة إليه ؟!

شفت ملامح (نور) عن ثورة من التفكير ، تعتمل فى أعماقه ، وهو يجيب :

- الرجل حاول عزل القاعة تمامًا ، وكأنما تعمَّد أن تقتصر الإصابة على من بداخلها فحسب .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا تعمَّد هذا ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وقد انتبه إلى هذه الحقيقة لأوَّل مرة ، وقال فى تردُّد :

ـ ربما أراد أن يجعل الإصابة محدودة ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ لماذا ؟! لماذا حرص على أن تظلَّ الإصابة محدودة ؟! إنه لم يبد قط أدنى اهتمام بالحياة البشرية ، فى أية مرحلة من مراحل الصراع !

تمتم (رمزى) ، وقد استغرق فى التفكير فى الأمر بدوره :

ـ هذا صحيح .. إنه لا يبالى قط بالحياة البشرية ، وإلا لما ابتكر هذا الفيروس الشيطانى .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ هل رأيت ؟! الحفاظ على الأرواح لم يكن قط أحد أهدافه .. هناك سبب آخر جعله يفعل هذا .

وعاد حاجباه يلتقيان فى شدة ، وهو يعتصر عقله ، مردِّدًا :

ـ ولكن ما هذا السبب ؟! ما هو ؟!

قبل أن يستغرق فى التفكير ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو بغتة ، فالتفت الجميع إليه ، وشهقت (سلوى) ، قائلة :

ـ ربَّاه ! هل تعتقد أنه هو يا (نور) ؟!

أشار إليها (نور) أن تبدأ محاولة التتبُّع ، وهو يتجه إلى هاتف الفيديو ، ويضغط زره ، ثم يتطلَّع إلى شاشته فى توتر ، قفز إلى ذروته دفعة واحدة ، عندما ظهرت صورة الدكتور (هاشم) عليها ، وانطلق صوته الساخر ، يقول :

ـ أهلاً .. هل راق لكم عرضى ؟!

قالها ، وانفجر ضاحكًا ، وراح يقهقه فى سخرية ، على نحو مستفز ، جعل (نور) يقول :

ـ العبرة بالنهاية يا رجل .

ولكن الدكتور (هاشم) واصل ضحكاته ، وكأنه لم يسمعه ، وقال :

ـ كنت أعلم أننى سأهزمكم .. كنت أعلم أن ذكاءكم لن يبلغ الحد الكافى ، لمنع الضربة قبل حدوثها .

استفزَّت عبارته (نور) أكثر ، فقال فى صرامة :

ـ قال القدامى : من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا .

واصل الرجل ضحكاته ، وهو يقول :

ـ لقد هزمتكم .. هزمتكم فى الضربة الأولى ، وأراهن على أننى سأواصل هزيمتكم حتى النهاية .

بدا الغضب لحظة على وجه (نور) ، ثم لم يلبث



بدا الغضب لحظة على وجه (نور) ، ثم لم يلبث الغضب أن تحوّل إلى اهتمام بالغ . .

الغضب أن تحوّل إلى اهتمام بالغ ، وهو يغمغم فى حيرة :

- عجبًا !.. لماذا يبدو وكأنه ...

قاطعته (سلوى) فى انفعال ، قبل أن يتمّ عبارته :

- (نور) .

التفت إليها فى حركة حادة ، قائلاً :

- هل حدّدت موضع الاتصال بهذه السرعة ؟!

بدا عليها توتر بالغ ، وهى تجيب :

- إنه يتحدّث من هاتف عام يا (نور) .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :

- الهاتف المقابل للمبنى مباشرة .

اتسعت عيناه فى شدة ، وهتف (رمزى) ، وهو يثب من مقعده :

- مستحيل !!

وبحركة مدهشة ، قفز (نور) من مكانه ، وأزاح ستارة النافذة ، وتطلّع عبرها ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فأمام المبنى مباشرة ، وإلى جوار هاتف الفيديو ، كان يقف خصمهم مبتسمًا فى سخرية ..

خصمهم الدكتور (هاشم صدقى) ..

شخصيًا .

★ ★ ★

٥ - التحدّى ..

ران صمت تام على تلك الحجرة الصغيرة ، فى قلب السفارة الأمريكية فى (القاهرة) ، حيث جلس (سام) ، يشاهد للمرة العشرين ، ذلك التسجيل ، الخاص بما حدث فى قاعة التصوير ، فى جريدة (أنباء الفيديو) ..

كان عقله يعيد دراسة الموقف مرات ومرات ، محاولاً استخراج أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وفهم أقصى ما يمكنه فهمه ، عن طبيعة الدكتور (هاشم) وأسلوبه ..

وفى حذر شديد ، وعلى أطراف أصابعه ، دلف الملحق العسكرى للسفارة إلى الحجرة ، وحرص بشدة على ألا يصدر عنه أدنى صوت ، وهو يتخذ مجلسه إلى جوار (سام) ، الذى بدا لحظات وكأنه لم يشعر بوجوده ، وهو يتابع المشهد فى اهتمام كبير ، ثم لم يلبث أن قال ، دون أن يلتفت إليه :

- هل حصلت على الملف المطلوب ؟!

تنهَّد الملحق العسكرى ، مجيبًا بصوت خافت :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

التفت إليه (سام) فى استنكار ، وهو يقول :

- ماذا دهاكم يا رجل ؟! فى الماضى لم يكن الحصول على المعلومات يستغرق منكم أكثر من دقائق معدودة ، والآن أنتظر منذ ساعة كاملة ، للحصول على ملف ذلك الرجل ، فلا يمكنكم الحصول عليه !!

مطَّ الملحق العسكرى شفتيه ، وقال :

- المصريون لم يعودوا كما كانوا يا مستر (سام) ، ومن العسير اليوم أن تخترق دفاعاتهم الأمنية ، وتحصل منهم على أية أسرار .

بدا الاستهجان فى ملامح (سام) وصوته ، وهو يقول :

- المصريون ؟! يا له من زمن !

قلب الملحق العسكرى كفه ، قائلاً :

- موقفهم فى أثناء فترة الاحتلال(★) وبعدها(★★) ،

(★) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(★★) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

قلب الكثير من موازين القوة ، فى العالم الجديد ، واليوم أصبحوا إحدى الدول العظمى ، التى يتعامل معها الجميع فى احترام وحذر .

بدا الغضب على وجه (سام) ، ولوّح بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. هذا لا يصنع فارقًا كبيرًا .. إننا نحتاج إلى هذه المعلومات ، ولابد أن نحصل عليها ، مهما كان الثمن .

تنهّد الملحق العسكرى مرة أخرى ، وكرّر :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

قالها ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، حتى انتهى العرض ، ثم التفت إلى (سام) ، يسأله :

ـ أما زلت تصرّ على ربط الحصول على عينة الفيروس ، بالظفر بذلك العالم المجنون ؟!

أجابه (سام) فى اقتضاب صارم :

ـ بالطبع .

صمت الملحق العسكرى بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ لو أردت رأيى ، فهذا خطأ كبير .

التفت إليه (سام) فى بطء ، وسأله :

ـ لماذا ؟!

كانت لهجته تحمل من الاهتمام والتساؤل ، أكثر مما تحمل من الضيق أو الغضب ، على نحو جعل الملحق العسكرى يشعر بارتياح أكثر ، ويقول :

ـ لأن الجميع بين مُهمتَين عَسيرتَيْن ، يعنى مضاعفة احتمالات الخطر ، ونسبة الفشل ، كما يصبح الأمر مرتبطًا ، على نحو يجعل فشل إحدى المهمتين يؤدى حتمًا إلى فشل الآخرى .

تطلّع إليه (سام) فى صمت ، وملامحه تحمل كل التوتر والاهتمام ، ثم تراجع فى مقعده ، وراح يحكّ ذقنه بسبّابته ، على نحو ارتبك له الملحق العسكرى ، فاستدرك فى سرعة :

ـ إنه مجرّد رأى .

رمقه (سام) بنظرة أخرى صارمة صامتة ، توحى بأنه يستهجن تصريحه برأيه ، فارتبك الملحق العسكرى أكثر وأكثر ، ونهض ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن أنصرف ؛ لأواصل البحث عن المعلومات المطلوبة .

أشار إليه (سام) ، وهو يسأله فى اهتمام كبير :

ـ وما المهمة التى تستحق الأولوية فى رأيك ؟!

شجَّع سؤاله الملحق العسكرى على أن يجيب فى اهتمام مماثل :

ـ الحصول على عينة الفيروس بالطبع ، فالأفضل أن تركز جهودك كلها على هذا الهدف ، وبعد أن تنجح فيه ، وترسل العينة إلى الوطن بالفعل ، ابحث عن الرجل كما يحلو لك .

صمت (سام) طويلاً هذه المرة ، وبدت عليه ملامح التفكير العميق ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إلى الملحق العسكرى ، قائلاً فى صرامة :

ـ اذهب لإحضار المعلومات المطلوبة .

شدَّ الملحق العسكرى قامته ، وقال :

ـ كما تأمر يا مستر (سام) .

وأسرع يغادر الحجرة ، تاركًا (سام) خلفه ، وقد بدأت تتكوَّن فى ذهنه خطة جديدة ..

وخطيرة ..

للغاية ..

★ ★ ★

لم تكد عينا (نور) تقعان على وجه الدكتور (هاشم) ، الذى يقف مبتسمًا فى سخرية ، عند كابينة هاتف الفيديو العامة ، حتى اندفع كالصاروخ خارج الحجرة ، وهو يهتف عَبْر ساعته ، المزوَّدة بهاتف خاص(★) :

ـ إلى كل رجال الأمن الخارجى .. الخصم المطلوب يقف أمام المبنى مباشرة .. حاصروا المنطقة كلها ، وألقوا القبض عليه بأى ثمن .

قالها ، وانطلق يعدو بكل قوته ، عبر ممرات المبنى ، ووثبًا فى درجات سلالمه ، حتى بلغ المدخل ، فاندفع عَبْره إلى حيث الهاتف العام ..

ولكن الدكتور (هاشم) لم يكن هناك ..

وهذا ما كان يتوقَّعه (نور) ، الذى هتف عبر هاتف ساعته :

ـ (سلوى) .. هل رأيت أين ذهب ؟

أجابته زوجته من موقعها فى انفعال :

(★) أعلنت إحدى شركات الهواتف المحمولة عن قيامها بإنتاج هاتف خاص ، يمكن وضعه داخل ساعة يد ، ويبلغ وزنه مع بطاريته ، ما يزيد قليلاً على السبعين جرامًا ، وسيتم طرح هذا الهاتف مع بدايات القرن الحادى والعشرين .

ـ نعم يا (نور) .. لقد عبر الشارع إلى المركز التجارى ، واختفى هناك .

ضغط (نور) زرًا آخر فى ساعته ، وهتف :

ـ إلى رجال الأمن ، من المقدَّم (نور) .. حاصروا المركز التجارى ، وأغلقوا كل مداخله ومخارجه .. أريد تفتيش جميع من فيه واحدًا واحدًا ، حتى ولو استغرق الأمر يومًا بأكمله .. ملحوظة .. الخصم يمتلك جهاز التبدل الفائق ، ويمكنه تغيير ملامحه كلية بلمسة واحدة .

اندفع فريق من رجال الأمن نحو المركز التجارى ، الذى يبعد عشرين مترًا فحسب ، عن المبنى الإدارى للمخابرات العلمية ، وسدّ بعضهم مداخله ومخارجه ، فى حين اندفع الباقون مع (نور) إلى الداخل ، وهتف هو ، عبر مكبِّر صوتى خاص :

ـ نداء إلى الجميع .. لا داعى للفزع .. لا يوجد ما يدعو للخوف .. إننا نطارد مجرمًا ، تسلَّل إلى هنا .. الجميع مسموح لهم بالخروج ، بعد الخضوع لتفتيش بسيط وسريع .

وعلى الرغم من كلماته ، سادت موجة عنيفة من

الفزع والذعر ، فصرخت النساء ، وشهق الرجال ، وتدافع الجميع محاولين الخروج من المكان بالقوة ، إلا أن (نور) صاح فى صرامة ، عبر مكبِّر الصوت الفائق :

ـ لا داعى للفزع .. أكرِّر .. لا داعى للفزع .. استخدام القوة لمغادرة المكان سيؤدى إلى وقوع ضحايا عديدين .

ذهبت صيحاته هباءً ، وضاعت وسط الذعر والضجيج ، على نحو كاد يفسد الأمر كله ، ويعرِّض حياة رجال الأمن لخطر داهم ، فانعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

ـ يبدو أن (أكرم) يكون أحيانًا على حق .. هناك وسيلة واحدة للسيطرة على الجموع الثائرة .

ثم استل مسدسه الليزرى ، وأطلق منه طلقة ، توهَّجت على نحو قوى ، فى سقف المركز ، وهو يصيح بصوت قوى ، يفيض بالغضب والصرامة :

ـ كفى .. التفتيش إجبارى ، وسيتم إطلاق النار على كل من يرفض الخضوع له .

ولدهشته ، لم تكد صيحته تتلاشى هذه المرة ،

حتى خيّم على المكان صمت رهيب ، وكأنما خرّ كل من فيه صرعى دون مقدمات ..

ولثوان ، أدار (نور) عينيه فى الوجوه بدهشة بالغة ، قبل أن يتمتم :

ـ ربّاه !! لقد كان (أكرم) على حق .

ثم أمسك مكبر الصوت ، قائلاً :

ـ شكرًا لكم على التزامكم بالتعليمات .. والآن أرجو أن تنتظموا فى صفوف ، أمام كل المخارج ، لإجراء عمليات التفتيش فى سرعة وهدوء .

أطاعه الجميع هذه المرة فى صمت واستسلام ، وسؤال مخيف يتردّد فى ذهنه ..

لماذا أقدم الدكتور (هاشم) على خطوة حمقاء كهذه ؟!

ما الذى يدفعه إلى الظهور بهذه الصورة السافرة المتحدية ، على بعد أمتار قليلة من مبنى المخابرات العلمية ؟!

هل يحاول استفزازهم فحسب ؟!

أم ماذا ؟!

انطلق يتابع عمليات التفتيش ، عند كل مداخل ومخارج المركز التجارى ، وذلك السؤال يرفض مفارقة ذهنه ، ويواصل التردُّد فى عقله بإلحاح مخيف ..

لماذا فعلها الرجل ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

* * *

« فضيحة .. أكبر فضيحة فى تاريخ الإدارة .. »

هتف القائد الأعلى للمخابرات العلمية بالعبارة ، فى غضب شديد ، ولوّح بيده كلها ، مستطردًا ، وهو يدور حول (نور) ، الذى اتخذ وقفة عسكرية صارمة :

ـ الكل يتهمنا بالعنف والشراسة ، ويردّدون أن خوفنا الشديد من الدكتور (هاشم) ، جعلنا نفقد أعصابنا ، ونتحرّك على نحو همجى عشوائى ، دون أن نبالى بالمجتمع وقواعده .

تنحنح (نور) ، قائلاً :

ـ الدكتور (هاشم) اتصل بنا فى مقرنا يا سيِّدى ،

وعندما ألقيت نظرة عبْر النافذة ، رأيته يقف عند هاتف الفيديو العام ، مبتسمًا فى سخرية ، وعندما لحقت به هناك ، كان ...

قاطعه القائد الأعلى فى حدة :

ـ كفى يا (نور) .. إننى أبغض تكرار التفسير على النحو نفسه .

قال (نور) فى ضيق :

ـ ولكن هذا ما حدث بالفعل يا سيِّدى ، ولقد سجَّلته آلات التصوير والمراقبة ، ويمكننى إثباته ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى حدة وغضب :

ـ وما الفائدة من هذا الآن ؟! لقد حدثت الفضيحة وانتهى الأمر .. أثرت موجة رهيبة من الذعر ، داخل المركز التجارى ، دون أن يؤدى هذا إلى نتيجة إيجابية واحدة .

كان (نور) يشعر بمرارة لا حد لها فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف لم نعثر عليه يا سيِّدى ! كل آلات المراقبة فى المركز رصدت دخوله إليه ، وعلى الرغم من هذا فقد عجزنا تمامًا عن إيجاده ، على

الرغم من أننا قد فتشنا كل رواد المكان ، وكل شبر منه ، وقلبناه رأسًا على عقب .. حتى المخازن الرئيسية والفرعية قمنا بتفتيشها ، دون أن نعثر على أدنى أثر له .

توقَّف القائد الأعلى ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا مفرّ من الاعتراف يا (نور) .. الرجل خدعكم تمامًا هذه المرة ، وجعلكم مصدرًا لسخرية الجميع .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، جعلته يبذل جهدًا إضافيًا ، ليقول بصوت خافت مبحوح :

ـ العبرة بالنهاية يا سيِّدى .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

ـ هل تعلم كم طلب المركز التجارى ، تعويضًا عن خسائره المادية والمعنوية ، من جراء ما فعلته ؟!

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

ـ إننى أؤدى واجبى فحسب يا سيِّدى ، وأفعل ما يمليه علىَّ ضميرى ؛ لذا فأنا مستعد لتحمَّل كافة التبعات والـ ...

قاطعه صوت حازم هذه المرة ، يقول :

- لن تتحمَّل شيئًا يا (نور) .

استدار (نور) والقائد الأعلى فى دهشة ، إلى مصدر الصوت ، ورأيا أمامهما الرجل الوحيد ، فى العالم كله ، الذى يمكنه دخول حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، دون الخضوع للإجراءات التقليدية ..

رئيس الجمهورية شخصيًا ..

وفى احترام شديد ، أدى (نور) التحية العسكرية ، قائلاً :

- مرحبًا بك يا سيادة الرئيس .

أما القائد الأعلى ، فاندفع نحوه ، قائلاً فى حرارة :

- أهلاً بك فى مكتبى يا سيِّدى .. لماذا لم تعلن عن حضورك ؛ حتى نتخذ الإجراءات اللازمة لهذا .

بدا التوتر على وجه رئيس الجمهورية ، وهو يقول :

- الساعات تمضى فى سرعة ، ولا وقت لاتخاذ أية إجراءات .

ثم التفت إلى (نور) ، متابعًا :

- اسمع يا (نور) .. لقد تابعت بنفسى كل ما حدث

فى المركز التجارى ، وليس لدى ما أقوله لك سوى أمر واحد .

انطلقت عشرات الأفكار والاحتمالات فى رأس (نور) ، خلال الثانية التى مضت ، عندما ازدرد الرئيس لعابه ، قبل أن يتابع فى حزم :

- امض فى طريقك يا ولدى .

تألَّقت عينا (نور) فى انبهار وتقدير ، ولم تدهشه ملامح الارتياح ، التى بدت على وجه القائد الأعلى ، وهو يتنهَّد ، قائلاً :

- قرار حكيم يا سيادة الرئيس .

تابع الرئيس بنفس الحزم :

- صحيح أن ما فعلته أثار غضب واستياء العديدين ، ولكن كل الغاضبين والمستائين لا يحملون على كاهلهم تلك المسئولية الرهيبة ، الملقاة علي كاهلك .

ووضع يده على كتف (نور) ، مستطردًا فى حزم :

- إنك تحمل مستقبل العالم كله على عاتقك يا ولدى .

ثم رسم على شفتيه ابتسامة مشجِّعة ، مضيفًا :

- ولو أننى فى مكانك ، لما فعلت أقل مما فعلته

أنت ، بل ربما كنت قد نسفت ذلك المركز التجارى كله ، لضمان القضاء على شيطان مثل (هاشم صدقى) هذا .

اتسعت ابتسامة القائد الأعلى ، وهو يقول :

- لا يمكنك أن تتصورَّ كم أراحنى موقفك هذا يا سيادة الرئيس .. لقد كنت أخشى أن ..

قاطعه رئيس الجمهورية فى حزم :

- أن أضحى بالمقدَّم (نور) ، لإخماد غضب واستياء الجماهير .. أليس كذلك ؟! كلاَّ أيها القائد .. صحيح أننى رجل مدنى ، لم أخض حربًا واحدة فى حياتى كلها ، ولكن هذا لا يعنى أننى عاجز عن تقدير الأمور ، فأنا واثق من أن الدكتور (هاشم) قد تعمَّد وضع (نور) فى هذا الموقف ، ليدفعنا إلى إقصائه عن المهمة ، متصورًا أنه سيحقق انتصاره بهذا ، وواجبنا ألا نمنحه ذلك التفوق ، الذى يسعى إليه ، وأن يزداد تمسكنا بـ (نور) وفريقه ، وإصرارنا على استمرارهم فى أداء مهمتهم .

وربَّت على كتف (نور) ، مستطردًا :

- هيا يا ولدى .. عد إلى فريقك ، وواصلوا عملكم

بأقصى طاقتكم ، ولا تنسوا لحظة واحدة أنكم مسئولون عن سلامة (مصر) .. بل عن سلامة العالم كله .

صمت (نور) لحظة ، من فرط الانبهار والامتنان ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته ، وقال :

- أشكرك يا سيادة الرئيس .. أشكرك كثيرًا ، وأعدك نيابة عن فريقى كله ، أن نبذل أقصى ما تسمح به طاقتنا ، من أجل (مصر) .. ومن أجل العالم أجمع .

نطقها بصوت قوى حازم ، وعقله يتساءل فى أعمق أعماقه ..

أهذا بالفعل هدف الدكتور (هاشم) مما فعله ، أم أن لديه هدفًا آخر ، يختفى خلف الهدف الواضح للموقف ؟!

وانضمَّ ذلك التساؤل إلى التساؤلات الأخرى ، التى تعربد فى أعماقه منذ البداية ، وظل مثلها أيضًا ..

بلا جواب ..

* * *

« مازالت المشكلة تكمن فى الغلاف .. »

نطق الدكتور (مجدى خليل) العبارة ، وهو يفرك عينيه فى إرهاق ، أمام الميكروسكوب الأيونى ، وأشار إلى الصورة المرتسمة على شاشته ، متابعًا :

- انظر .. لقد تطوَّر الغلاف على نحو ملحوظ ، فى هذا الجيل الثانى ، ولم يعد مزدوجًا فحسب ، وإنما صار أكثر قوة ومناعة :

وافقه الدكتور (سمير) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- وماذا عن سرعة التكاثر المدهشة هذه ؟! إننى لم أر فى حياتى كلها فيروسًا يتكاثر بهذه السرعة ، داخل الخلايا الحية ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الدكتور (مجدى) يسأله فى مزيج من القلق والاهتمام :

- ماذا حدث ؟!

أشار الدكتور (سمير) بسبَّابته ، قائلاً :

- وسيلة انتقال العدوى هذه ، لا تتفق قط مع طبيعة الفيروسات ، فالفيروس يفقد طبيعته خارج الخلايا الحية ، ولا يمكنه نقل العدوى ، إلا عَبْر سائل مَا من سوائل الجسم(*) .

(*) حقيقة علمية .

اعتدل الدكتور (مجدى) ، وسأله فى اهتمام :

- كيف أمكن دفعه إلى نقل العدوى عبر الهواء إذن ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى اهتمام بالغ ، وهو يتخذ موقعه أمام المجهر الأيونى ، ويعيد دراسة الفيروس :

- إنه نوع من التطوير الجينى على الأرجح .. ذلك الفيروس لم يعد ينتمى عمليًا لعائلة الفيروسات .. لقد تم نقل بعض صفات الجراثيم(*) والبكتريا(**) إليه بوسيلة ما .

دفعت كلمات الدكتور (سمير) فيضًا من الطاقة فى عروق الدكتور (مجدى) ، فتوارى شعوره

(*) الجرثومة : مصطلح يصف فى علم البكتيريا ، نوع البكتيريوم أو الفطر ، وفى علم الأحياء يصف تكوين فرد جديد ، مثل البيضة المخصبة ، أى الجنين أو البذرة ، وبعض الجرثومات لها قدرة على التحوصل ، فى البيئة غير المناسبة .

(**) البكتيريا : كائن حى بدائى ، صغير جدًا ، يتكوَّن من خلية واحدة ، لا يحتوى على (كلورفيل) على الإطلاق ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يعدُّ من عالم النبات ، بعض أنواعه تنشر عدوى أمراض بالغة الخطورة ، وبعضها مفيد للإنسان ، ولها عشرات الأشكال ، مثل البكتيريا العصوية ، والحلزونية ، والخيطية ، وغيرها ..

بالإرهاق جانبًا ، واستعاد نشاطه كله ، وهو ينتقل إلى مقعده ، أمام المجهر الإليكترونى ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل ! علميًا ، يستحيل نقل صفات البكتريا إلى الفيروس ، أو العكس .

أجابه الدكتور (سمير) فى حزم ، وهو يدرس الفيروس من منظور جديد :

ـ لا توجد مستحيلات فى العلم يا رجل ، فما يبدو اليوم مستحيلاً ، يتحوّل فى الغد إلى حقيقة واقعية بسيطة ، يدرسها طلاب المرحلة الثانوية أو حتى الابتدائية .

تطلع الدكتور (مجدى) بدوره إلى الفيروس ، مغمغمًا :

ـ هل تعتقد أن الدكتور (هاشم) هذا قد نجح فى تحطيم القواعد ، وزرع صفات بكتريولوجية فى فيروس عادى ؟!

أجابه الدكتور (سمير) :

ـ منذ بدأت هذه الأحداث ، والرجل يُثبت عبقرية فذّة ، تؤهّله لكسر أية قواعد علمية تقليدية ، ولن يدهشنى أبدًا أن يكون قد فعلها .

ارتبك الدكتور (مجدى) بضع لحظات ، من هول الفكرة ، وعاد يفحص الفيروس جيدًا ، قبل أن يقول فى توتر بالغ :

ـ ولكنه ، باستثناء ذلك الغلاف المزدوج المنيع ، يبدو لى مجرَّد فيروس عادى .

أجابه الدكتور (سمير) فى حزم :

ـ من الناحية الشكلية فحسب ، ولكن ماذا عن صفاته الفعلية ؟!

ثم رفع عينيه عن شاشة المجهر الأيونى ، متابعًا :

ـ من الناحية العلمية ، تعدّ الفيروسات أكثر صور الحياة الأوّلية ، وهى تشغل مكانًا متوسطًا ، بين المادة الحية ، والمادة غير الحية ، إذ إنها تحمل صفات الحياة داخل الخلايا الحية فحسب ، أما خارجها ، فهى أشبه بمادة متبلورة غير حية(*) ، ولهذا السبب بالتحديد ، لا يمكنها نقل العدوى عبر الهواء فى معظم الأحيان ، وبالنسبة لهذا الفيروس بالذات ، مع منشئه المرتبط بفيروس التهاب الكبد

(*) حقيقة علمية .

الوبائى (سى) ، لم يكن من الممكن قط أن ينتقل عبر الهواء ، ولكننا رأينا جميعًا أنه فعلها ، وهذا يعنى أن التطوير الذى شمله ، لم يقتصر على الغلاف المزدوج فحسب ، وإنما منحه صفات وقدرات أخرى ، لا قبل للفيروسات العادية بها .

تردَّد الدكتور (مجدى) ، وهو يتطلَّع إلى الفيروس ، ثم سأل في خفوت :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

أومأ الدكتور (سمير) برأسه إيجابًا ، وقال :

- فى موقفنا هذا ، ليس من حقنا أن نعتمد على الاعتقاد وحده .. إننا نحتاج إلى تجربة عملية .

سأله الدكتور (مجدى) فى توتر :

- وأية تجربة تقترح ؟!

أجابه فى حزم :

- أن نختبر قدرته على التكاثر فى الهواء الطلق ، خارج الخلايا الحية .

بُهِتَ الدكتور (مجدى) للقول ، وتمتم :

- ولكن هذا مستحيل ! الفيروسات لا يمكنها التكاثر، خارج الخلايا الحية !

أشار الدكتور (سمير) بسبَّابته ، قائلاً :

- إنك تتحدَّث عن الفيروسات التقليدية .

ثم التقط أدوات الفحص الدقيق ، واستخدم الجراحة المجهرية الدقيقة ، لفصل الفيروس عن الوسط الحى ، الذى يتم اختباره فيه ، ونقله إلى بوتقة خالية ، بعد غسله بمحلول ملحى خفيف التركيز ، وقال :

- والآن ، دعنا نر ما سيفعله هذا الوغد .

ولثوان على شاشة المجهر الأيونى ، ظلَّ الفيروس خاملاً ، ساكنًا ، ثم لم يلبث أن اهتزَّ فى بطء ، و ...

وبدأ عملية التكاثر ..

وعلى نحو طبيعى للغاية ..

وفى ذهول تام ، حدَّق الدكتور (مجدى) فيما حدث ، واختنقت الكلمات فى حلقه ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل !

أطلق الدكتور (سمير) زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، وتمتم :

- الرجل فعلها .

ورفع عينيه عن شاشة المجهر ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن كيف ؟! أية تقنية متطورة استخدم ، لصنع هذا الوحش الرهيب ؟!

وكان هذا هو السؤال الحقيقى ..

كيف فعلها الدكتور (هاشم) ؟!

كيف ؟!

★ ★ ★

بدا اهتمام بالغ على وجه (نور) ، وهو يطالع التقرير ، الذى قدّمه له الدكتور (سمير) منذ دقائق معدودة ، وغمغم :

ـ إنه على حق تمامًا ، فالسؤال هو كيف استطاع الدكتور (هاشم) أن ينتج وحشه هذا ؟!

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا :

ـ المعلومات التى حصلنا عليها تؤكّد أنه لم يجر تجارب التحوّل البيولوجى هذه ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، وهذا يعنى أن لديه معملاً آخر ، فى مكان ما ، يحوى أجهزة متطوِّرة للغاية ، وإمكانات علمية مدهشة ، تتيح له إنتاج (هشيم) ، و (هشيم ٢) .

قالت (نشوى) فى حيرة :

ـ ولكننى فحصت كل ما يحمل اسمه ، فى كل بقاع

العالم ، ولم أجد مكانًا آخر ، أو معملاً يمكنه اللجوء إليه .

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ وماذا لو أنه يستأجر معملاً خاصًا ؟!

أجابها (رمزى) :

ـ هذا مستحيل عمليًا ، فالتقنية التى يحتاج إليها إنتاج فيروس كهذا ، متطوِّرة وباهظة الثمن للغاية ، حتى إنه يستحيل عمليًا أن تمتلكها شركة للمعامل الخاصة ، مهما بلغت ضخامتها .

أدار (نور) عينيه إليه بغتة ، وقال :

ـ وماذا عن الجيش ؟!

ردَّد (رمزى) فى دهشة بالغة :

ـ الجيش ؟!

أجابه (نور) :

ـ بالطبع يا (رمزى) .. الدكتور (هاشم) كان يجرى تلك التجارب لحساب الجيش ، ومن المنطقى أن يعدُّوا له معملاً مجهَّزًا ، بكل وسائل التقنية الحديثة .

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! هل تعلم ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

التفت إليها بعينين متسائلتين ، فتابعت فى لهفة :

ـ يعنى أن هذا هو المكان الوحيد ، الذى يخصَّ الدكتور (هاشم) ، ولم نقم بفحصه أو تفتيشه .

تألَّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـ آه .. هذا صحيح يا (سلوى) .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتابع :

ـ ومن يدرى ما الذى يمكن أن يقودنا إليه هذا ؟!

نعم يا (نور) ..

من يدرى ؟!

★ ★ ★

امتلأت نفس الملحق العسكرى الأمريكى بمزيج من الدهشة والاستنكار ، وهو يراقب (سام) ، الذى يجلس على مقعده صامتًا ساكنًا ، منذ أكثر من نصف الساعة ، وكأنما تحوَّل إلى تمثال من الحجر ، وهزَّ الملحق رأسه ، وهو يطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق صدره ، ويغمغم :

ـ عجبًا ! أهذا من يصفونه بأنه أخطر رجل مخابرات لدينا ؟! إنه لم يقم بخطوة واحدة إيجابية ، منذ وصل إلى هنا .

أطلق زفرة أخرى ، قبل أن يدفع باب الحجرة الزجاجى ، ويدلف إليها متنحنحًا ، على نحو جعل (سام) يلتفت إليه فى بطء ، ويتطلَّع إليه بعينين متسائلتين ، جعلتاه يرتبك ، ويقول فى سرعة :

ـ هل ترغب فى تناول أى شىء يا مستر (سام) ؟!

تطلَّع إليه (سام) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول ساخرًا :

ـ ماذا دهاك أيها الملحق العسكرى ؟! هل استبدلت موقعك مع عامل البوفيه ؟!

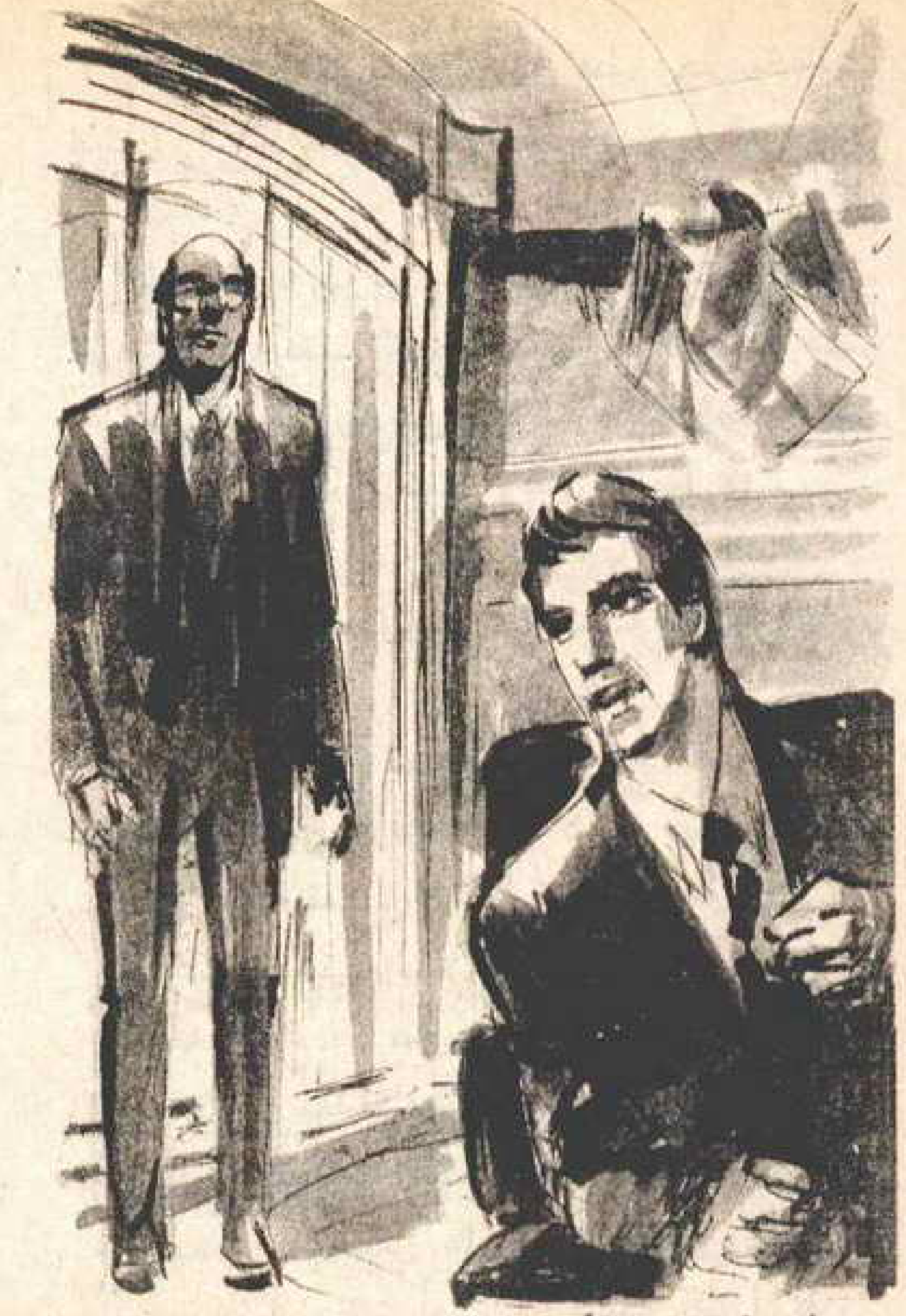
احتقن وجه الملحق العسكرى ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟! مستر (سام) .. إننى لم ..

قاطعه (سام) ، مشيرًا بيده فى حزم :

ـ دعك من هذا الانفعال ، واجلس أيها الملحق .

ازداد احتقان وجه الملحق العسكرى ، وهو يطيع أمر (سام) ، ويجلس على المقعد المقابل ، فتطلَّع إليه (سام) بضع لحظات أخرى فى صمت ، قبل أن يقول :



ويدلف إليها متنحنحًا ، على نحو جعل (سام) يلتفت إليه في بطء ، ويتطلَّع إليه بعينين متسائلتين ..

ـ أراهـن على أنك تتساءل فـى أعمـاقك : أى رجـل مخابرات هذا ، الذى يجلس طوال الوقت صامتًا ، دون أن يقـوم بخطـوة إيجابيـة واحـدة ، فـى سبيل المهمة ، التى أتى من أجلها .

اتسعت عينا الملحق العسكرى فى دهشة ، وخُيِّل إليه أن (سام) قد قرأ أفكاره ، فارتبك قائلاً :

ـ كلاَّ يا مستر (سام) .. إننى لم ...

قاطعه (سام) بإشارة من يده ، قائلاً :

ـ لا تكرِّر حديثك يا رجل .. هذا يدعو للملل .

ثم مـال نحـوه ، وتطلَّـع إلـى عينيـه مباشـرة ، مستطردًا :

ـ ولكنك على حق .

ارتبك الملحق العسكرى أكثر ، وهمهم بكلمات غير ذات معنى ، فابتسم (سام) ، وتراجع قائلاً :

ـ الشىء الوحيد الذى ينبغى أن تدركه ، أن التفكير والتدبير هما أساس عمل رجل المخابرات الناجح ، أما تحويل الأفكار إلى واقع ، فهو الخطوة الأخيرة من العمل .

ازدرد الملحق العسكرى لعابه ، وغمغم :

ـ إننى أفهم هذا جيدًا يا مستر (سام) .. لقد درسناه فى أثناء تدريباتنا الأوليَّة .

رفع (سام) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال :

ـ آه .. عظيم .. هذا يختصر الكثير من الشرح .

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، متابعًا :

ـ فطوال الوقت ، الذى جلست فيه هنا صامتًا ساكنًا ، كنت أبحث الأمر ، وأدرسه جيدًا .. وكان هذا مفيدًا للغاية فى الواقع ، فقد تبيَّنت أن نظريتك سليمة تمامًا ، ومن الخطورة أن أسعى للهدفين فى آن واحد .. فلنحصل على عينة الفيروس أولاً ، ثم نبحث عن ذلك المجنون فيما بعد .. ثم إننى انتبهت إلى أن الحصول على عينة الفيروس فى حد ذاته ، ليس بالمهمة السهلة أو الهيِّنة ؛ إذ إن المصريين سيحيطونه بأقصى قدر من السرية والحماية ، وخصوصًا مع تلك الأحداث الجديدة ، التى اشتعلت بعودة الدكتور (هاشم) ، ومفاجأة وجوده على قيد الحياة .

سأله الملحق العسكرى فى قلق ولهفة :

ـ كيف يمكننا الحصول على العينة إذن ؟!

أجابه (سام) ، وهو يسبل جفنيه ، وكأنه سيغرق فى سبات عميق :

ـ من المؤكَّد أنه لن يمكننا الحصول عليها بالأساليب المباشرة .

ثم فتح عينيه بغتة ، مستطردًا :

ـ ليس لدينا إذن سوى الأساليب غير المباشرة .

مال الملحق العسكرى نحوه هذه المرة ، وسأله فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟!

صمت (سام) طويلاً ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ المقدَّم (نور) .

تراجع الملحق العسكرى فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ المقدَّم (نور الدين) ؟! رجل المخابرات العلمية ، وبطل حرب التحرير(*) ؟!

أومأ (سام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. بطل التحرير .. إنه الشخص الوحيد ، الذى يمكنه منحنا عينة الفيروس .

اتسعت عينا الملحق العسكرى عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ (نور) ؟! مستحيل ! يبدو أنك لا تعرف هذا

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

الشاب جيدًا .. إنه لن يخون وطنه قط ، حتى ولو دفعت له مليارات الدنيا كلها .

ابتسم (سام) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ ومن تحدَّث عن المال ؟!

سأله الملحق العسكرى فى حذر :

ـ مستر (سام) .. ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

أشار (سام) بسبَّابته ، وهو يسبل جفنيه مرة أخرى فى تراخٍ ، قائلاً :

ـ إننى أفكِّر فى استغلال الضعف البشرى يا رجل .. أبرز صور الضعف البشرى .

سأله الملحق العسكرى فى دهشة أكبر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أغلق (سام) عينيه تمامًا ، وقال :

ـ الكثير يا رجل .. الكثير ..

ولم يفهم الملحق العسكرى ما يعنيه (سام) ، إلا أنه شعر فى أعماقه بالقلق ..

قلق غامض ، و ...

وبلا حدود .

★ ★ ★

٦ ـ خطوة فخطوة ..

نهض قائد السلاح الطبى من خلف مكتبه ؛ ليصافح (نور) و (رمزى) والدكتور (سمير) فى حرارة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكم فى مكتبى أيها السادة .. لقد اتصل بى مكتب السيِّد رئيس الجمهورية منذ دقائق ، وطلب منى التعاون معكم ، وتقديم كل التسهيلات الممكنة لكم .

ثم عاد يجلس خلف مكتبه ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مستطردًا بنفس الابتسامة الكبيرة :

ـ والآن ، ما الذى يمكننى تقديمه لكم أيها السادة ؟!

أجابه (نور) مباشرة ، ودون مواربة :

ـ معمل الأبحاث ، الخاص بالدكتور (هاشم صدقى) .

تلاشت ابتسامة الرجل ، فور سماعه السؤال ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وانتفض جسده بحركة حادة ، تشف عن توتره ، وعدم توقُّعه لمثل هذا المطلب ، إلا أنه لم يلبث أن تمالك أعصابه بسرعة مدهشة ، وعاد يرسم ابتسامة باهتة على شفتيه ، وإن لم يستطع السيطرة على تلك النبرة العصبية فى صوته ، وهو يقول :

- أى معمل أبحاث هذا أيها المقدَّم ؟!

بدا التوتر على وجه (نور) ، وهو يجيب :

- المعمل الذى أجرى فيه الدكتور (هاشم) تجاربه السرية ، التى أدَّت إلى ظهور ذلك الفيروس اللعين .

كان من الواضح أن الرجل قد تمالك جأشه تمامًا ، وهضم المفاجأة كلها ، وهو يستعيد ابتسامته الواسعة ، ويسترخى فى مقعده ، قائلاً :

- لست أدرى لماذا تصوَّرت أن لدينا شيئًا كهذا أيها المقدَّم ، ولكننى أؤكِّد لك أن السلاح الطبى لا يمتلك سوى معامله الرسمية ، التى يتعامل معها الجميع .

أطلَّ التوتر من عينى (رمزى) والدكتور (سمير) ، وتبادلا مع (نور) نظرة متسائلة ، إلا أن هذا الأخير احتفظ بهدوء أعصابه ، وهو يقول :

- أظنك تابعت التغيرات الأخيرة يا سيِّدى ، والتى تضمَّنت عزل وزير الدفاع .. أليس كذلك ؟!

مطَّ الرجل شفتيه ، وقلب كفه ، قائلاً :

- بلى أيها المقدَّم .. كان هذا أمرًا مؤسفًا للغاية ، ولكن ...

قاطعه (نور) ، فى شىء من الصرامة :

- لقد تم عزله لهذا السبب نفسه .

انعقد حاجبا الرجل فى صرامة ، وهو يقول :

- ماذا تعنى أيها المقدَّم ؟!

أجابه (نور) فى صرامة واضحة :

- أعنى أن الوقت أضيق من أن ندور حول الأمور على هذا النحو أيها القائد ، وأن السيِّد رئيس الجمهورية يصرّ على أن يتعاون الجميع بأقصى طاقاتهم ؛ لكشف هذه الغمة ، وإلا فلا حاجة لوجودهم فى مراكز قيادية حسَّاسة .

هبَّ الرجل من مقعده فى حدة ، صائحًا :

- هل تحاول تهديدى أيها المقدَّم ؟

هبَّ (نور) من مقعده بدوره ، صائحًا فى غضب :

- بل أوضِّح لك طبيعة الموقف أيها القائد ، ومدى حساسية تلك الساعات الحاسمة ، التى قد يتحدَّد خلالها مصير العالم أجمع .

احتقن وجه الرجل ، ولوَّح بسبَّابته فى وجهه ، قائلاً :

- فلتعلم أيها المقدَّم أنك لن تجد دليلاً واحدًا ، على وجود معمل كهذا .

فوجئ (رمزى) والدكتور (سمير) بتلك الابتسامة ،

التى ارتسمت على شفتى (نور) ، وهو يقول :
- خطأ أيها القائد .. خطأ .. إننا لم نأت إلى هنا عشوائيًا ، وإنما بناء على ما توصلنا إليه ، عندما اخترقنا الحاجز الأمنى لنظام الكمبيوتر العسكرى ، وفحصنا ملف المصروفات السرية .
امتقع وجه القائد ، وتراجع فى شىء من الارتياع ، مغمغمًا :
- اخترقتم نظام الكمبيوتر العسكرى ، وفحصتم ملف المصروفات السرية ؟! ولكن هذا مستحيل !
أجابه (نور) ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة :
- لا يوجد مستحيل أيها القائد ، خاصة وأننا نمتلك شفرة الدخول السرية ، لنظام الكمبيوتر العسكرى ، بحكم انتمائنا إلى أقوى جهاز أمنى فى البلاد .
ازداد امتقاع وجه القائد ، وعجزت ساقاه عن حمله ، فتهاوى على مقعده ، وتمتم :
- لقد .. لقد كنا ننفذ الأوامر العليا ، عندما أنشأنا ذلك المعمل ، وكان من المفترض أن يظلَ إلى الأبد واحدًا من أكثر الأسرار العسكرية أهمية وخطورة .
مطَ (رمزى) شفتيه فى ضيق ، فى حين انعقد حاجبا الدكتور (سمير) فى شدة ، وهو يقول محتدًا :

- إذن فالشائعات التى كنا نسمعها صحيحة ، ولدينا بالفعل برنامج لإنتاج الأسلحة البيولوجية .
التفت إليه القائد ، قائلاً فى عصبية :
- لسنا حالة استثنائية فى هذا الشأن يا رجل .. كل الدول لديها برامج لتطوير الأسلحة البيولوجية ، على الرغم من قرار الحظر ، الذى أصدرته الأمم المتحدة ، بعدما حدث فى بدايات القرن الحادى والعشرين .. كل دولة فى العالم تسعى لامتلاك سلاح خطير ، يتيح لها التفوق على باقى دول العالم ، دون النظر إلى طبيعة هذا السلاح ونوعه ، ولا يمكننا وحدنا الخروج من السباق ، وإلا لوقعنا يومًا فى براثن دولة استعمارية ، لم تتصرف بتلك الرومانسية السخيفة ، التى يتميَز بها المدنيون .
بدت لهجة (نور) صارمة قاسية ، على نحو لا يتفق مع فارق الرتب ، بينه وبين القائد ، وهو يقول :
- لسنا هنا بصدد الحديث عن هذا أيها القائد .. الوقت يمضى بسرعة ، ولكل ثانية قيمتها ، والأفضل أن ترشدنا إلى المعمل .
أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وغمغم :
- بالتأكيد أيها المقدَم .. بالتأكيد ..

ثم نهض من خلف مكتبه ، وسار عبر الحجرة ، وهو يستطرد :

ـ لم أكن أتصورَ قط أنه سيأتى يوم ، أضطر فيه لكشف المعمل (ت. ب ـ ٢٤) ، لأى مخلوق كان ، بخلاف العلماء القلائل ، الذين يستخدمونه ، والسيِّد وزير الدفاع شخصيًا .

ووضع يده على شعار السلاح الطبى ، المثبت على الجدار ، متابعًا :

ـ ولكن الرياح لا تأتى دومًا بما تشتهى السفن .. استعدوا أيها السادة ، فما سترونه أمامكم تكلَّف مليارى جنيه دفعة واحدة .

وبحركة سريعة ، ضغط الشعار ، وأداره إلى اليسار ..

وفى بطء ، وأمام عيونهم جميعًا ، دار مكتبه الكبير حول نفسه ، كاشفًا فجوة كبيرة ، أضيئت فور انكشافها ؛ لتظهر درجات سلم رخامية ، تقود إلى قاعة واسعة ، أسفل مكتب القائد الطبى تمامًا ..

وفى توتر ملحوظ ، أشار الرجل إلى الفجوة ، قائلاً :

ـ بعدكم أيها السادة .

هبط الجميع فى درجات السلَم إلى القاعة التى قادتهم إلى ممر طويل ، انتهى بباب مغلق ، ألصق القائد يده بإطار صغير فى طرفه ، قائلاً :

ـ هذا الباب لا يمكن فتحه إلا بوساطة عدد محدود من البشر ، وعن طريق فحص بصماتهم وتوزيع مسامهم العرقية .

ومع حديثه ، تألَق الإطار بضوء أخضر ، ثم ظهرت فوقه عبارة تقول :

ـ تم التحقُق .. قائد السلاح الطبى .. مسموح بالدخول .

وعلى الفور ، انفتح الباب فى بطء ؛ ليظهر خلفه معمل كبير للغاية ، أضيئت أنواره فى تتابع أنيق ، لتكشف عددًا من أحدث الأجهزة العلمية وأفضلها ، مع عدد من أجهزة الكمبيوتر العلمية المتطوِّرة ..

وفى عصبية ، أشار القائد إلى هذا المعمل ، قائلاً :

ـ (ت . ب ـ ٢٤) أيها السادة .. أو معمل التجارب البيولوجية الرابع والعشرون .

تقدَم الجميع داخل المكان فى رهبة ، وخفق قلب الدكتور (سمير حافظ) فى قوة ، وهو يدير عينيه فى المكان ، قبل أن يهتف :

ـ ربّاه ! لو أننى أمتلك معملاً كهذا ، لما كان من العجيب أن أنتج فيروسًا أكثر خطورة من (هشيم) .

قال (نور) فى صرامة :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن تستخدمه لإيجاد مصل واق من (هشيم ـ ٢) يا دكتور (سمير) .

التفت إليه الدكتور (سمير) فى لهفة ، قائلاً :

ـ حقًا ؟! هل يمكننى هذا حقًا ؟!

قال القائد فى حدة :

ـ لا تتجاوز حدودك كثيرًا أيها المقدّم .. هذا المعمل ليس فندقًا ، تمتلك حق تأجيره لمن تشاء .

التفت إليه (نور) ، مجيبًا فى صرامة :

ـ هذا المعمل هو المسئول عن إنتاج ذلك الوحش ، الذى يكاد يفتك بنا جميعًا أيها القائد ، ولا أقل من أن يسهم فى إنقاذنا منه ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فجأة رنين هاتف ما ، فى المكان ، فبتر (نور) العبارة ، وتلفت حوله فى دهشة ، لم تبلغ عشر دهشة القائد ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! هذا الهاتف سرى للغاية ، ولايوجد من يعرف رقمه سوى ..

لم يكن قد أتمّ عبارته بعد ، عندما وثب (نور) نحو الهاتف ، وضغط زر الاتصال به ، وهو يحدّق فى شاشته ، التى أضيئت فى سرعة ؛ ليظهر عليها نفس الوجه الذى توقّع رؤيته ..

وجه الدكتور (هاشم) ، الذى أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ هل راق لك معملى أيها المقدّم ؟!

نطق العبارة ، وعاد يطلق ضحكاته الساخرة العالية الممطوطة ..

تلك الضحكات ، التى اقترنت عند (نور) بالغضب ..

والخطر ..

والدمار ..

★ ★ ★

« (نشوى) .. استيقظى يا بنيّتى .. »

نطقت (سلوى) الكلمات فى خفوت حنون ، وهى تربّت على كتف ابنتها (نشوى) ، التى فتحت عينيها فى صعوبة ، وتطلّعت إلى ما أمامها ، قبل أن تنتفض فى قوة ، وتعتدل جالسة على مقعدها ، قائلة فى خجل :

ـ آه .. يبدو أننى غفوت ، دون أن أدرى .

مسحت أمها بيدها على شعرها فى حنان ، وقالت :
- إنك تعملين منذ ساعات طويلة بلا انقطاع ، ومن المؤكد أنك تحتاجين إلى نوم عميق لبعض الوقت .
ثم انحنت تهمس فى أذنها :
- لقد نمت فى أثناء عملك على الكمبيوتر .
بدا الخجل على وجه (نشوى) ، وغمغمت :
- الواقع أننى ..
قاطعتها أمها بقبلة على وجنتها ، قائلة فى حنان :
- ومن يطلب تفسيرًا ؟
ثم اعتدلت ، قائلة بابتسامة عذبة ، وهى تربت عليها :
- هيا .. عودى إلى منزلك ، واحصلى على بعض الراحة .
هزّت (نشوى) رأسها نفيًا فى قوة ، وقالت :
- مستحيل ! لقد فقدنا خمس ساعات ، حتى هذه اللحظة ، والوقت يمضى بسرعة ، و ...
قاطعتها أمها ، فى مزيج مدهش من الحزم والحنان :
- لن يمكنك إنجاز شىء بحالتك هذه .. هيا .. استمعى إلى نصيحة أمك ، وعودى إلى منزلك .
ثم عادت تربت عليها ، مستطردة :

- وأعدك أن نتصل بك على الفور ، عند احتياجنا إليك .
رفعت (نشوى) عينيها إليها ، قائلة :
- حقًا ؟!
أجابتها (سلوى) بابتسامة كبيرة :
- هذا وعد .
أومأت (نشوى) برأسها متفهمة ، ونهضت فى استسلام ، والتقطت حقيبتها ، مغمغمة :
- سأنتظر اتصالك .
ودعتها أمها بابتسامة حانية ، وهى تقول :
- بالتأكيد .
لم تدر (نشوى) كيف استقلت سيارتها ، ولا كيف أمكنها الوصول إلى منزلها ، وهى تعانى كل هذا الإرهاق ، ولكنها لم تكد تغلق باب المنزل خلفها ، حتى ألقت جسدها على أقرب أريكة إليها ، وهى تقول :
- ربّاه ! كنت على حق يا أمى .. كم أتوق إلى قليل من الراحة .
أغلقت عينيها فى تهالك ، وتركت جسدها يسترخى على الأريكة ، و ...
وفجأة ، وثبت إلى ذهنها فكرة ما ..

لماذا لم تفحص ما سجلته آلات المراقبة ، عند ظهور الدكتور (هاشم) ؟!

لماذا لم تحاول العثور على أية معلومات خاصة به ، من تلك التسجيلات ؟!

لقد تعلَّمت من أبيها ، أن أية علامة صغيرة ، يمكن أن تقود إلى نتائج كبيرة ..

أية علامة !

تغيير فى لون البشرة ..

فى تصفيفة الشعر ..

شىء ما فى الثياب ..

أو حتى فى طلاء الحذاء ..

أية علامة يمكن أن تفيد ؟!

لا أحد يدرى لماذا قفزت تلك الفكرة إلى رأسها ، وهى تستعد للنوم والراحة ، ولكنها انتزعتها من الأريكة ، وجعلتها تهرع إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وتضرب أزراره بأصابعها ؛ لتوصله بجهاز الكمبيوتر الخاص بمقر الفريق ، ثم تستدعى تسجيلات آلات المراقبة ، فى نفس التوقيت ، الذى ظهر فيه الدكتور (هاشم) ، عند هاتف الفيديو العام ..

وبسرعة ، ارتسمت الصورة على شاشة الجهاز ، وراحت هى تتابعها مرات ومرات ، وتعيد العرض أكثر من مرة ، حتى توقفت عند لحظة بعينها ..

عند أكثر المشاهد وضوحًا للدكتور (هاشم) ..

وفى اهتمام بالغ ، راحت تقسم المشهد إلى عدة أجزاء ، وتفحص كل جزء منها على حدة ، بحثًا عن تلك العلامة ، التى افترضت وجودها ..

ولكن كل شىء كان عاديًا بسيطًا ..

حتى وصلت إلى الوجه ..

فى البداية ، بدا لها الوجه عاديًا ، بلا أية علامات مميَّزة ، أو تغيرات جديدة ، حتى إنها كادت تنتقل إلى جزء آخر ..

ثم فجأة ، لمحت ذلك الشىء ..

شىء جعلها تعيد تكبير الجزء الخاص بالوجه مرات ومرات :

وفى كل مرة ، كان ذلك الشىء يكبر ويتضح أكثر وأكثر ..

وفى انفعال جارف ، غمغمت :

- يا إلهى ! من كان يتوقَّع هذا ؟! لابد أن يعلم أبى بهذا الأمر .. وبأقصى سرعة .

قالتها ، وهى تلتقط سمَّاعة الهاتف الصغير ، و ...

وفجأة لمحت ذلك الظل ، الذى انعكس على شاشة الكمبيوتر ، فالتفتت خلفها فى سرعة ، وهى تطلق شهقة ذعر ، ولكنها تلقَّت لطمة عنيفة ، دارت لها عيناها فى محجريهما ، قبل أن تهوى فاقدة الوعى ..

وفى هدوء ، انحنى ذلك الرجل ، الذى أفقدها الوعى ؛ ليتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ـ أنت على حق يا صغيرتى .. من كان يتوقَّع هذا ؟!

وأطفأ جهاز الكمبيوتر فى هدوء شديد ، ثم انحنى يحمل (نشوى) على كتفه ، ويغادر المكان كله ، تاركًا خلفه بطاقة صغيرة ، تحمل رقم الهاتف ..

فقط رقم الهاتف ..

★ ★ ★

خيَّم ظلام دامس على تلك المنطقة المهجورة ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، وانتشر فى المكان ضباب خفيف ، اشترك مع الظلام فى إضفاء شعور بالرهبة على المكان ، مما جعل (مشيرة) تنكمش فى مكانها ، مردِّدة بصوت مرتجف مذعور :

ـ أين أنت يا (أكرم) ؟! أين أنت ؟! إننى أحتاج إليك !

كانت تتلفَّت حولها فى ارتياع ، ولكن بصرها لم ينجح فى اختراق متر واحد من ذلك الظلام ، الذى بدا لها أشبه بغلاف سميك ثقيل ، يجثم على صدرها ، ويكبح أنفاسها ، على نحو جعلها تلهث فى شدة ، مع خفقات قلبها العنيفة ، و ...

وفجأة ، تناهى إلى مسامعها ذلك الصوت ..

وقع أقدام ثقيلة تتجه نحوها ..

وفى رعب هائل ، انكمشت فى مكانها أكثر وأكثر ، وتمتمت :

ـ (أكرم) .. أين أنت باللَّه عليك ؟! أين أنت ؟!

اقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر ، فانحبست الكلمات فى حلقها ، واتسعت عيناها فى رعب ، وهى تحدِّق فى الظلام التام ، المحيط بها من كل جانب ..

ثم سطع الضوء بغتة ، من بقعة على قيد متر واحد منها ..

ومن وسط الضوء المبهر ، برز وجه مألوف ..

وجه الدكتور (هاشم صدقى) ..

وفى عنف ، انتفض جسدها كله ، وصرخت بكل قوتها :

ـ (أكرم) .. (أكرم) ..



ومن وسط الضوء المبهر ، برز وجه مألوف .. وجه الدكتور (هاشم صدقى) ! ..

« أنا هنا يا عزيزتى .. أنا هنا .. »

اخترق صوته أذنيها بغتة ، وهى تنتفض على فراشها ، وتهبّ منه فى ارتياع ، فاحتواها بين ذراعيه ، وربَّت عليها فى حنان ، مغمغمًا :

ـ إنه مجرَّد كابوس .. أنا هنا .

تراجعت ؛ لتحدِّق فى وجهه ، مغمغمة :

ـ أنت هنا ؟!

جذبها إليه مرة أخرى ، وأراح رأسها على صدره فى حنو بالغ ، وهو يقول :

ـ نعم يا حبيبتى .. أنا هنا .. كل شىء على ما يرام .. إنه مجرَّد كابوس .

راح جسدها يرتجف بضع لحظات ، قبل أن تشعر بالأمان بين ذراعيه القويتين ، فتستكين فى صدره ، وتسكب دموعها عليه فى غزارة ، متمتمة :

ـ لا تتركنى أبدًا يا (أكرم) .. لا تتركنى وحدى .

أدهشته استكانتها ، التى لم يعهدها فى شخصيتها قط من قبل ، وجعلته يشعر بشفقة عجيبة نحوها ، وهو يضمّها إليه أكثر ، مغمغمًا :

ـ اطمئنى يا حبيبتى .. لن أتركك أبدًا .

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

- أعلم أنك غاضب منى .. الأحوال بيننا لم تكن على ما يرام ، فى الآونة الأخيرة ، ولكننى لم أكن أقصد نصف ما قلته .. كنت غاضبة فحسب ؛ لأنك تولى عملك اهتمامًا يفوق اهتمامك بى ... وكل ما فعلته لم يكن سوى محاولة لاستفزازك فحسب .. اغفر لي يا حبيبى .. سامحنى .. أرجوك .. لا تغضب منى ، أو تتخلَّ عنى أبدًا .

تنهَّد مغمغمًا :

- لن أفعل يا حبيبتى .. لن أفعل .. أنا هنا إلى جوارك ، ولن أتخلّى عنك قط .

لم يكن قد رآها قط على هذه الصورة من الإحباط والخوف ، حتى إنه شعر وكأنها مخلوق آخر ، لا يمتّ بأية صلة لزوجته (مشيرة) ، ذات الشخصية القوية ، المليئة بالعناد والحزم والإصرار ، مما ضاعف من شعوره بالشفقة نحوها ، وجعله يطبع قبلة حانية على وجنتها ، مغمغمًا :

- إننى أحبك .

رفعت عينيها المغرورقتين بالدموع إليه ، وسألته :

- حقًّا يا (أكرم) ؟! أما زلت تحبنى حقًّا ؟!

ابتسم ، هامسًا :

- ولم أتوقَّف عن حبك لحظة واحدة يا أميرتى .

دفنت وجهها فى صدره ثانية ، وقالت :

- أنا أيضًا أحبك يا (أكرم) .. أحبك كما لو لم أحب مخلوقًا آخر ، فى حياتى كلها ، وكل ما أتمناه هو أن أظلّ جوارك إلى الأبد .

ثم عادت ترفع عينيها إليه ، متابعة فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

- لا تتركنى أبدًا يا (أكرم) .. لا تتخلَّ عنى قط .

تنهَّد فى حرارة ، وعاد يحتويها فى صدره ، وعيناه تشردان ، مع ذلك القلق ، الذى يعصف بأعماقه ..

القلق الذى ولَّده صراع عنيف ، بين احتياج زوجته إلى وجوده ، واحتياجه هو إلى العودة إلى الفريق ، فى هذه الظروف العصيبة ..

ذلك الصراع التقليدى ، بين الحب ، والعاطفة ، و ...

والواجب ..

* * *

اتسعت عيون الجميع فى دهشة بالغة ، وهم يحدقون فى شاشة الهاتف ، باستثناء (نور) ، الذى بدا عليه الغضب ، وهو يقول :

- كيف عرفت أننا هنا يا دكتور (هاشم) ؟!

أطلق الرجل ضحكة ساخرة بغيضة أخرى ، قبل أن يشير إلى رأسه ، قائلاً :

- أليس من الأفضل أن تعترفوا بعبقريتى ، بدلاً من إلقاء أسئلة سخيفة كهذه أيها المقدَّم ؟ إننى أعرف كل شىء بالتأكيد .. كل شىء .

تلفَّت (نور) حوله ، قائلاً :

- لقد أخفيت أجهزة تنصُّت هنا .. أليس كذلك ؟!

قهقه الرجل ضاحكًا ، وقال :

- لا تحاول التظاهر بالذكاء يا (نور) .. لست فى موقف يسمح لك بهذا .

أجابه (نور) فى صرامة :

- ولا أنت فى موقف يسمح لك بالتبجُّح يا رجل .. أنت تعلم جيدًا أننا سنظفر بك ، إن عاجلاً أو آجلاً ، و ..

قاطعته ضحكة عالية مجلجلة هذه المرة ، قبل أن يقول الدكتور (هاشم) :

- تظفرون بى ؟! كلاً أيها المقدَّم .. أراهنك على أنه لن يمكنكم الظفر بى فى هذه المرة ، مهما فعلتم .

سأله (نور) بسرعة :

- لماذا ؟!

سأله الرجل فى لا مبالاة :

- لماذا ماذا ؟!

سأله (نور) فى اهتمام بالغ :

- لماذا لن يمكننا الظفر بك ، مهما فعلنا ؟!

صمت الدكتور (هاشم) لحظة ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

- لأننى الأكثر ذكاءً يا هذا .

أجابه (نور) فى حدة :

- ولكننا ظفرنا بك من قـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما بدت له سخيفة للغاية ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما أطلق الدكتور (هاشم) ضحكة ساخرة مجلجلة ، وقال :

- هذا صحيح .. لقد ظفرتم بى من قبل ، والدليل أننى أتحدَّث إليك الآن .. أليس كذلك ؟!

اندفع قائد السلاح الطبى يقول فى غضب :

ـ لو لم يظفر هو بك ، فسنظفر بك نحن أيها الوغد .. لن نسمح لك بالإفلات بالملايين التى استوليت عليها ، و ...

احتقن وجهه بغتة ، عندما انتبه إلى ما انزلق إليه لسانه ، وخاصة عندما التفت إليه (نور) بنظرة غاضبة مندهشة ، وهتف الدكتور (سمير) مبهورًا :

ـ الملايين ؟!

تراجع قائد السلاح الطبى فى ارتباك ، وهو يغمغم :

ـ لم أكن أقصد هذا بالضبط ، وإنما ..

مرة أخرى لم يستطع إتمام عبارته ، مع النظرات الصارمة المتهمة ، التى تلهبه بسياط غير منظورة ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وتراجع مرددًا :

ـ إننى أنفذ الأوامر فحسب .. ليست لدى حتى سلطة إنفاق ثمن سيارة عادية .

أما الدكتور (هاشم) ، فلم يبد عليه أدنى اهتمام بما حدث ، وهو يقول :

ـ دعونا من كل هذا أيها السادة ، واستمعوا إلىَّ جيدًا .. لقد مضت خمس ساعات ، من المهلة التى منحتكم إياها ، ليتقدَّم رئيس الجمهورية باستقالة

مسبَّبة للشعب ، تتم إذاعتها على الهواء مباشرة ، مؤكدًا أننى اضطررته لهذا ، وإلا ...

سأله (نور) فى صرامة :

ـ وإلا ماذا ؟!

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ وإلا فستتمنون لو أنكم لم تولدوا فى هذا العصر .

ران الصمت على المكان ، بعد أن نطق عبارته ، وتبادل الجميع نظرات غاية فى التوتر ، جعلت (نور) يقول فى حدة :

ـ مازال أمامنا الكثير من الوقت .

سأله الدكتور (هاشم) فى سخرية :

ـ هل تعتقد هذا حقًا ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ المفترض طبقًا لساعتى ، أنه مازال أمامنا ثمانى عشرة ساعة ، وخمس وأربعون دقيقة ، و ...

قاطعه الرجل فى صرامة :

ـ خطأ أيها المقدَّم ..

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ هل يختلف توقيت ساعتك عن ساعتى ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

ـ بل المهلة هى التى اختلفت يا هذا .

وتراجع فى خيلاء ، قبل أن يضيف :

ـ ما دمتم أذكياء إلى هذا الحد ، وتنتقلون من خطوة إلى أخرى بهذه السرعة ، فلماذا تحتاجون إلى كل هذا الوقت ؟!

ثم انعقد حاجباه فى صرامة أكثر ، مكملاً :

ـ تكفيكم عشر ساعات فحسب .

اتسعت عينا الدكتور (سمير) فى ارتياع ، وهتف :

ـ عشر ساعات فقط ؟! ربَّاه ! هذا الوقت لن يكفى أبدًا .

وقال (نور) فى غضب :

ـ ولماذا اختصار المهلة يا دكتور (هاشم) ؟! إننا نتبع القواعد ، التى وضعتها بنفسك !

أطلق الرجل ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ القواعد تغيَّرت ، منذ هذه اللحظة .

بدا اهتمام بالغ على وجه (رمزى) ، وهو يتابع هذا الحوار ، وغمغم :

ـ (نور) .. هذا الرجل لا يبدو لى ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، انطلق صفير قصير داخل

المعمل ، فشهق قائد السلاح الطبى ، وهتف :

ـ ربَّاه !.. احتياطى الأمن .

قالها ، وانطلق يعدو نحو الباب ، الذى تحرَّك بسرعة أكبر ؛ ليُغلق فى وجهه بعنف ، فتراجع هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! لقد انتهى أمرنا .

ألقت عبارته الذعر فى قلبى (رمزى) والدكتور (سمير) ، فى حين سأل (نور) فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟!

أتاه الجواب عن لسان الدكتور (هاشم) ، الذى قال فى سخرية :

ـ لقد اشتعل جهاز تأمين ذاتى أيها العبقرى ، وبدأ العد التنازلى لنسف المعمل (ت . ب ـ ٢٤) ، ومحو كل أثر له من على وجه الأرض .. معذرة أيها المقدَّم ، ولكن كل ما تبقَّى لكم لا يتجاوز الدقائق الخمس .. وداعًا .. وداعًا يا فريق العباقرة .

انطلقت ضحكته الساخرة عالية مجلجلة ، فى قلب المعمل ، وصورته تتلاشى من الشاشة رويدًا رويدًا ، مع العد التنازلى نحو اللحظة الحاسمة ..

لحظة الانفجار .

* * *

٧ - انفجـــــار ..

ما هى النظرية النسبية ؟!

عندما ألقى بعض البسطاء هذا السؤال ، على العالم الفذ (ألبرت أينشتين)(*) ، أدرك أنه لن يكون من المجدى أن يشرح لهم نظرياته الرياضية الفيزيقية المعقَّدة ؛ لذا فقد رسم على شفتيه ابتسامة هادئة متواضعة ، وهو يخبرهم أن الوقت - أى وقت - يمضى بسرعة كبيرة ، عندما يقضيه المرء فى عمل يسعده ، ويمضى ببطء شديد ، عندما نؤدى خلاله عملاً نبغضه ..

وهذه هى النسبية .

(*) (ألبرت أينشتين) : (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥ م) : فيزيقى نظرى ألمانى المولد ، وضع نظرية النسبية الخاصة عام (١٩٠٥ م) ، ونظرية النسبية العامة (١٩١٥ م) اللتين قلبتا مجال الفيزيقا النمطية تمامًا ، وهو الذى افترض تكافؤ الكتلة والطاقة ، وفسَّر بهذا التفاعلات النووية ، ونال جائزة (نوبل) فى الفيزيقا عام (١٩٢١ م) ، وحصل على الجنسية الأمريكية عام (١٩٤٠ م) .

ولو طبقنا هذا المبدأ البسيط على (نور) ورفاقه ، داخل معمل القوات المسلحة ، والعد التنازلى لنسفه يمضى ، لبدت لهم الدقائق وكأنها تعدو بسرعة البرق ، نحو موعد التفجير ، على نحو يوحى بأنه لا أمل فى النجاة ..

وفى انهيار تام ، قال قائد السلاح الطبى :

- لا فائدة ! هذا البرنامج الأمنى معدٌّ بحيث ينسف المكان كله ، إذا ما حاول العدو الاستيلاء عليه ، أو استغلاله ، وهو ينطلق بصورة آلية ، ولا يمكن التراجع عنه قط .

قال (نور) فى توتر :

- لا يوجد برنامج لا تراجعى .. كل البرامج الأمنية النهائية لها وسيلة ما للتراجع ، فى حالة إطلاق البرنامج بخطأ ما .

أجابه الرجل منهارًا :

- إلا هذا البرنامج .. لقد تعمَّدوا تركه بلا وسيلة تراجع ، لضمان عدم تعرّف العدو إياها ، حتى لا يمكنه أبدًا منع الانفجار ..

هتف (رمزى) فى عصبية :

يا للسخافة ! ألم يخطر ببال أحدكم قط أن يحدث خطأ كهذا ؛ فتخسرون كل ما بنيتموه بلا طائل ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ مستحيل ! كل نظم الأمن تحتم وجود وسيلة للتراجع .

وضغط زر الهاتف ، مستطردًا ..

ـ ربما لو أجرينا اتصالاً بالقيادة العليا .

لم يستجب الهاتف لضغطته ، فى حين هزَّ قائد السلاح الطبى رأسه فى يأس ، وقال :

ـ لا فائدة .. البرنامج يقطع كل الاتصالات الداخلية ، فور تشغيله .

هتف الدكتور (سمير) فى حنق :

ـ أبرنامج هذا أم فخ قاتل ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلقى نظرة سريعة على ساعته ، التى أشارت إلى مرور دقيقة كاملة ، فقال فى حزم :

ـ بل هو فخ قاتل يا دكتور (سمير) .

قالها ، واتجه نحو الباب ، وانتزع لوحة مفاتيح التحكم ، الخاصة برتاجه الإليكترونى الداخلى ، فسأله (رمزى) فى حيرة :

ـ ما الذى تنوى فعله يا (نور) ؟ هل تعتقد أنه من الممكن فتح الباب بهذه الوسيلة البدائية البسيطة ؟!

أجابه (نور) وهو يواصل عمله :

ـ كلاً بالتأكيد ، ولكن الشىء الوحيد الذى أعتقده ، هو أن فتح هذا الباب من الداخل ، لا يحتاج إلى كل الإجراءات المعقَّدة ، التى يحتاج إليها فتحه من الخارج .

اقترب الدكتور (سمير) ليتابع عمله فى اهتمام ، فى حين قال قائد السلاح الطبى :

ـ هذا لا يعنى أنه من السهل فتحه من الداخل ، فهذا يحتاج إلى شفرة معقَّدة ، ذات اثنى عشر رمزًا .

تمتم (نور) :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم جذب السلكين الرئيسيين للرتاج الإليكترونى ، وأوصلهما بقطبين رفيعين فى ساعته ، قبل أن يدنيها من فمه ، ويضغط زرًا فى جانبها ، ويقول :

ـ من (نور) إلى مقر القيادة .. أجب .

لم تمض لحظات ، حتى انبعث صوت زوجته (سلوى) من الساعة ، وهى تقول :

ـ من القيادة إلى (نور) .. أين أنتم ؟!

تجاهل (نور) سؤالها ، وهو يقول :
(سلوى) .. أين (نشوى) ؟!
أجابته فى قلق :
- إنها ليست هنا .. لقد أرسلتها لتحظى ببعض الراحة فى المنزل .. ماذا حدث يا (نور) ؟! أين أنتم ؟!
مرة أخرى تجاهل سؤالها ، وقال فى صرامة :
- هل يمكنك توصيل الهاتف بجهاز الكمبيوتر الخاص بها ؟!
أجابته ، والقلق يتضاعف فى أعماقها :
- بالطبع يا (نور) .. لحظة واحدة ، ويتم التوصيل .
خفقت قلوب الجميع فى قوة ، وانتعش فى أعماقهم أمل مبهم ، جعلهم يلتفون حول (نور) ، الذى ألقى نظرة متوترة على ساعته ، فتمتم قائد السلاح الطبى فى انفعال :
- ما زال أمامنا ثلاث دقائق وست ثوان .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (سلوى) ، عبر هاتف الساعة ، وهى تقول :
- تم التوصيل يا (نور) ، ولكن أخبرنى بالله عليك .. ماذا يحدث عندك ؟!

أجابها فى صرامة عصبية هذه المرة :
- لا وقت للشرح والحديث يا (سلوى) .. أرجوك .. عودى إلى الكمبيوتر الخاص بـ (نشوى) ، واعملى على تشغيل برنامج حل الشفرة الجديد الذى طوَّرته فى الأسبوع الماضى .
صمتت لحظة ، شفَّت عما تحترق به أعماقها من قلق وتوتُّر ، قبل أن تجيب بصوت مختنق :
- سمعًا وطاعة يا (نور) :
خفقت القلوب بقوة أكبر ، وراح عرق بارد يتصبَّب على الجباه ، وجفت الحلوق والشفاه ، وغمغم قائد السلاح الطبى بصوت متحشرج :
- دقيقتان وسبع وثلاثون ثانية .
التقى حاجبا (نور) ، وهو يتابع شاشة ساعته ، حتى ارتسمت فوقها كلمة (تم التشغيل) ، غمغم فى ارتياح :
- حمدًا لله .
بدأ البرنامج عمله ، فور إتمام التوصيل ، وظهر صفر من الأصفار على شاشة ساعة (نور) ، ثم استبدل البرنامج أحد الأصفار بالرمز الأوَّل من الشفرة ،

ثم انتقل إلى الصفر الثانى ، فالثالث ، حتى توصل إلى الرموز السبعة الأولى ، خلال نصف دقيقة فحسب ، فتهلّلت أسارير قائد السلاح الطبى ، وهتف :

ـ رائع .. هذا البرنامج رائع أيها المقدَّم .. لقد اخترق واحدة من أعقد الشفرات فى التاريخ ، ومن ...

بتر عبارته بغتة ، عندما توقَّف البرنامج عند الصفر الثامن ، وراحت الشاشة تضىء وتنطفئ فى تتابع سريع ، فسرى التوتر فى نفوس الجميع ، وقال الدكتور (سمير) فى عصبية :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (نور) فى توتر :

ـ البرنامج يجد صعوبة فى اختراق هذا الجزء من الشفرة .

شحب وجه قائد السلاح الطبى ، وهو يغمغم :

ـ ماذا ؟! لم يعد أمامنا سوى أقلَ من دقيقتين .

قال (نور) فى حزم :

ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا يا رجل .

برز الرمز الثامن ، مع آخر كلمات (نور) ، وراح الصفر التاسع يتألَّق ، وعيون الجميع تراقبه فى

توتر بالغ ، حتى برز التاسع ، وانتقل البرنامج إلى العاشر بسرعة ، ثم توقَّف طويلاً عند الصفر الحادى عشر ..

بل أطول مما ينبغى ..

والثوانى تمضى بسرعة البرق ، حتى لم يتبق لهم سوى أربعين ثانية فحسب ، فانهار قائد السلاح الطبى ، قائلاً :

ـ كان مجرَّد أمل زائف .. كنت أعلم أنه لا فائدة .

هتف (نور) :

ـ لا تفقد الأمل قط يا رجل .

أجابه القائد فى سخرية مريرة :

ـ الأمل ؟! أى أمل أيها المقدَّم ؟!

أما (رمزى) والدكتور (سمير) ، فقد غمر العرق وجهيهما ، كما غمر وجه (نور) ، وعيون ثلاثتهم معلَّقة بالصفرين المتبقيين ، والثوانى تجرى كالبرق ..

ثلاثون ثانية ..

تسع وعشرون ..

ثمان وعشرون ..

سبع وعشرون ..

وتمتم الدكتور (سمير) فى يأس ، وهو يتراجع فى بطء .

ـ إنه على حق يا (نور) .. لا فائدة .. الموت آت لا ريب .

شدَّ (رمزى) قامته ، قائلاً فى عصبية واضحة :

ـ ما دام الموت آت لا ريب ، فلنمت كالرجال .

رفع القائد عينيه إليه ، قائلاً فى مرارة :

ـ وما الفارق ؟!

انفرجت شفتا (رمزى) لينطق شيئًا ما ، عندما هتف (نور) فجأة :

ـ البرنامج توصَّل للرقم الحادى عشر .

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وانتفض جسد (رمزى) ، فى حين هبَّ القائد من مكانه ، هاتفًا فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

لم يجب (نور) ، وإنما تعلَّقت عيناه بالصفر الثانى عشر والأخير ، والثوانى تواصل التهام الوقت بسرعتها المخيفة ..

عشرون ثانية .

تسع عشرة ..

ثمانى عشرة .

سبع عشرة .

ست عشرة .

وهوت القلوب بين الأقدام ..

وقفزت كلمة واحدة إلى الأذهان .

لا فائدة .

لم يعد هناك مفرّ من الموت .

لم يعد أمامهم سوى عشر ثوان .

تسع ..

ثمان ..

وفجأة ، ظهر الرمز الثانى عشر ، على شاشة ساعة (نور) ، وتألَّق مصباح صغير أعلى الباب ، الذى لم يلبث أن انفتح على مصراعيه ، فهتف (نور) :

ـ أسرعوا .. أسرعوا بالله عليكم ..

وقبل حتى أن ينتهى هتافه ، كان الجميع يجرون بأقصى سرعتهم ..

خمس ثوان ..

أربع ..
ثلاث ..
وتعثَّر الدكتور (سمير) ، قبل أن يصل إلى القاعة السفلى ، فتوقَّف (رمزى) ليجذبه ، هاتفًا :
- انهض يا دكتور (سمير) .. انهض قبل أن ينفجر كل شىء ..
وعاد (نور) أدراجه بدوره ، ليعاون (رمزى) على إنقاذ الدكتور (سمير حافظ) ، فى حين واصل القائد العدو ، ليبلغ حجرته فى أعلى ، فى سباق مع ثانيتين ..
ثانية واحدة ..
صفر .
ودوى الانفجار ..
دوى قبل أن يبلغ (نور) و (رمزى) والدكتور (سمير) القاعة السفلى ..
وكان انفجارًا رهيبًا ..
وعنيفًا ..
ومدمرًا ..
وبشدة ..

* * *

ارتجف رأس (نشوى) مرتين ، وهى تستعيد وعيها ، ثم انتقلت الارتجافة إلى جسدها كله ، على هيئة قشعريرة باردة ، جعلتها تتأوَّه ، مغمغمة :
- أين (رمزى) .. أين أنتما ؟!
أتاها صوت جاف ، يقول بالعربية ، مع لكنة غربية خفيفة :
- والدك وزوجك ليسا هنا بالتأكيد .
سرت فى جسدها قشعريرة أخرى أكثر برودة ، وهى تفتح عينيها ، وتلتفت إلى مصدر الصوت ، قائلة :
- من أنت ؟!
ولكنها لم تكد تفتح عينيها ، وتلقى نظرة على المكان الذى ترقد فيه ، حتى قفز إلى لسانها سؤال آخر مذعور :
- وأين أنا ؟!
كانت داخل حجرة واسعة ، أنيقة ، تحوى مكتبة صغيرة ، وتلفاز تقليدى ، وجهاز موسيقى بسيط ، وفراش صغير وثير ، ترقد فوقه ، فى حين يبدو لها رجل يجلس عند الركن ، حيث تخفت الإضاءة ،



اعتدلت جالسة على طرف الفراش ، وهى تقول :
- فى ضيافتكم ؟! ومن أنتم بالضبط ؟! ..

ويقول بذلك الصوت الجاف ، وتلك العربية ذات اللكنة الغربية الخفيفة :
- لا داعى للقلق .. أنت هنا فى ضيافتنا .
اعتدلت جالسة على طرف الفراش ، وهى تقول :
- فى ضيافتكم ؟! ومن أنتم بالضبط ؟!
أجابها ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :
- هذا الأمر لا يعنيك كثيرًا .
هتفت فى دهشة غاضبة :
- لا يعنينى !! أى قول سخيف هذا ؟! إننى هنا بالفعل ، وعلى الرغم عن إرادتى ، فكيف لا يعنينى هذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يسألها فى صرامة :
- ما مدى ارتباطك بوالدك ؟!
أدهشها سؤاله بحق ، فمالت برأسها إلى الأمام ، محاولة التحقق من ملامحه ، فى ذلك الركن المظلم ، الذى اختاره لجلوسه ، وهى تقول :
- ما هذا بالضبط ؟! برنامج تدريبى لمعلمات فترة ما قبل الدراسة ؟!
بدا الغضب فى صوته واضحًا ، وهو يكرر :
- ما مدى ارتباطك به ؟!

قالت فى عصبية :

- هل اختطفتنى من منزلى ؛ لتلقى علىّ هذا السؤال ؟!

صمت طويلاً ، دون أن يجيب سؤالها ، فتمتمت فى عصبية :

- إنه أبى ، ومن الطبيعى أن يكون بيننا ارتباط قوى .

سألها :

- إلى أى مدى ؟!

حمل صوتها عصبية أكثر ، وهى تقول :

- إلى أقصى مدى يمكنك أن تتخيَّله بالطبع .

لم تكن تدرى ، وهى تلقى جوابها هذا ، أن طبيعة الحياة ، التى عرفها (سام بالدويل) ، تجعله عاجزًا عن تخيُّل أى نوع من أنواع الارتباط ، مهما بلغت بساطته ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يغمغم فى برود :

- عظيم ..

ثم مال بنصفه العلوى ، على نحو أخرج وجهه إلى دائرة الضوء ، وهو يستطرد :

- أتعتقدين أنه مرتبط بك ، إلى الحد الذى يدفعه للتضحية من أجلك ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحدِّق فى وجهه ، فكرَّر فى صرامة :

- أتعتقدين هذا ؟!

ارتبكت لحظة ، ثم قالت فى عصبية :

- أنت أمريكى .. أليس كذلك ؟!

أجابها فى حدة مباغتة :

- ليس هذا من شأنك ..

تراجعت فى خوف ، أمام حدته الغاضبة ، وهمَّت بقول شىء ما ، ولكنه هبَّ من مقعده فى عنف أفزعها ، ودخل بجسده كله دائرة الضوء ، وهو يقترب منها ، قائلاً فى صرامة مخيفة :

- هل تعتقدين أنه يمكن أن يضحِّى من أجلك ؟!

التهبت أعماقها بالذعر ، وهى تسأله :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟!

مال نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه ، وهو يتطلَّع إلى عينيها ، قائلاً بلهجة كادت تجمِّد الدماء فى عروقها :

- مقايضة بسيطة .. تبادل تجارى ، أو اجتماعى .. أو سياسى لو راق لك هذا .

وتألقت عيناه ، على نحو هوى له قلبها بين قدميها ، وهو يضيف :

ـ أنت ، مقابل ذلك الفيروس .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ الفيروس (هشيم) ؟!

تراجع مبتسمًا فى ظفر ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

ثم عاد إلى الركن المظلم ، مستطردًا :

ـ ارتباطه الشديد بك ، سيدفعه إلى قبول المقايضة ، وسيمنحنا عينة الفيروس ، مقابل استعادتك سالمة ، و ..

قاطعته فى عصبية :

ـ هراء .

التفت إليها بحركة حادة ، مكررًا :

ـ هراء ؟!

أجابته فى حدة :

ـ نعم .. هراء .. من الواضح أنك لا تعرف أبى .. إنه مستعد للتضحية بحياته نفسها ، دون أدنى تردُّد ، فى سبيل (مصر) .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ ربما ، ولكنه لن يتردَّد أيضًا فى التضحية بـ (مصر) نفسها من أجلك .

حمل صوتها نبرة متحدية عنيدة ، وهى تقول :

ـ ألم أقل لك : إنك لا تعرفه ؟! أبى يذوب عشقًا وهيامًا بوطنه ، حتى إنه لن يضحى بسلامته وأمنه قط ، حتى ولو كان الثمن هو أنا .

صمت (سام) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليها بملامح جامدة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ سنرى .

وجلس على المقعد فى هدوء ، متابعًا :

ـ عيبكم الرئيسى أيها العرب ، هو أنكم تقيمون للعواطف والمشاعر وزنًا كبيرًا ، وتزنونها بنفس المقياس ، الذى تزنون به الحياة العملية ، وهذا يجعل من السهل التأثير عليكم ، والسيطرة على مقاديركم .

أجابته بنفس الروح العنيدة :

ـ أوافقك على أننا نقيم للعواطف والمشاعر وزنًا كبيرًا فى حياتنا، وهذا ما يجعلنا أكثر آدمية منكم ، ويجعل قراراتنا أكثر منطقية وحسمًا .

ابتسمٍ فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ حقًا ؟!

أجابته فى حدة :

ـ ستلمس هذا بنفسك ، عندما تتعامل مع أبى .. إنه لن يضعنى فى كفة مقابلة لأمن (مصر) قط .

صمت لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟

ونهض من مقعده ، واتجه إلى جزء من الجدار ، ولمسه باصابعه ، متابعًا :

ـ سنرى .

انزاح جزء من الحائط ، إثر لمسة أصابعه ، فعبره بخطوة واسعة ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ إلى اللقاء يا صغيرتى .. اقضى وقتك فى مشاهدة (التلفاز) ، أو سماع الموسيقا ، حتى يُحضر والدك العينة .

هتفت فى صرامة :

ـ أتحداك .

ولكن لم يكد ذلك الجزء من الحائط يعود إلى مكانه ، وتجد نفسها داخل حجرة مغلقة ، دون أبواب

أو نوافذ ، حتى ارتجف جسدها كله فى خوف شديد ، وقفز إلى ذهنها السؤال نفسه .

هل سيضحى بها والدها حقًا ، من أجل (مصر) ؟!

هل ؟!

* * *

« (أكرم) .. أين أنت ؟! »

هتفت (مشيرة) بالسؤال فى هلع ، فاندفع إليها (أكرم) ، واحتواها بين ذراعيه ، قائلاً فى حنان :

ـ أنا هنا يا حبيبتى .. اطمئنى .

احتضنته فى قوة ، قائلة :

ـ خشيت أن تكون قد تركتنى ، وذهبت إليهم .

سألها فى قلق :

ـ إلى من ؟!

أجابته مرتجفة :

ـ إلى فريقك .

سرى توتر عنيف فى جسده ، وعضَّ شفته السفلى ، قبل أن يقول :

ـ إنه ليس فريقى .. إنه فريق (نور) ، وأنا أحد أفراده فحسب .

ثم انعقد حاجباه ، وأشاح بوجهه ليخفى انفعاله ، وهو يستدرك :

ـ أقصد أننى كنت كذلك .

شعرت بخفقات قلبه القوية ، وهى تلصق أذنها بصدره ، فرفعت عينيها إليه ، مغمغمة :

ـ كنت ؟!

أجابها فى شىء من العصبية :

ـ نعم .. كنت .. لقد تركت الفريق ، ولم أعد أحد أفراده بعد اليوم .

تطلَّعت إلى وجهه طويلاً فى صمت ، وخُيِّل إليها أن قبضة باردة كالثلج تعتصر قلبها ، وهى تهمس بصوت مرتجف :

ـ ولكنك تتوق للعودة إليهم .. أليس كذلك ؟

حاول أن ينكر هذا ، إلا أن لسانه عجز عن نطق ما يخالف مشاعره الحقيقية ، فلاذ بالصمت التام ، مما جعل قلبها يخفق فى قوة ، ودفع الدموع إلى عينيها ، فانحدرت على وجنتيها ، وهى تغمغم :

ـ نعم .. أنت تتعذَّب لبعدك عنهم .

تنهَّد فى عمق ، على نحو حمل كل مشاعره وتوتره ، ثم ضمَّها إليه ، مغمغمًا فى لهجة ، لم تنجح حتى فى إقناعه هو :

ـ إننى أفضِّل البقاء إلى جوارك ، و ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع رنين هاتف الفيديو ، فاستدار إليه فى حركة سريعة ، وضغط زره ، فتألَّقت شاشته على الفور ، وظهر عليها وجه (سلوى) ، وهى تقول فى ذعر :

ـ (أكرم) .. حمدًا للَّه على أننى وجدتك ..

سألها فى لهفة :

ـ ماذا هناك يا (سلوى) ؟

أجابته مرتجفة ، من فرط الانفعال :

ـ (نور) ذهب مع (رمزى) والدكتور (سمير) ، إلى قيادة السلاح الطبى للقوات المسلحة ، للبحث عن معمل الدكتور (هاشم) ، ثم اتصل بى من هناك ، وطلب منى توصيل هاتفه المحمول الصغير بكمبيوتر (نشوى) ، وتشغيل برنامج حل الشفرة ، وبعد أن أنهى البرنامج عمله ، سمعت ضجة كبيرة ، ثم انقطع اتصالى به تمامًا .

وتفجرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تقول :
ـ أخشى أن يكون قد أصابهم مكروه ، ولم أجد أمامى سواك ، و ..
قاطعها ، وهو يثب من فراشه ، هاتفًا :
ـ اطمئنى يا (سلوى) .. سأذهب على الفور .
اتسعت عينا (مشيرة) فى دهشة ، مع ذلك النشاط الجمّ ، الذى دبّ فى جسده بغتة ، وهو يلتقط مسدسه التقليدى ، ويدسّه فى حزامه ، ثم ينطلق بأقصى سرعته ، فهتفت به :
ـ (أكرم) .
لوّح بيده ، دون أن يلتفت إليها ، هاتفًا :
ـ لا تقلقى يا حبيبتى .. سأعود .
اتجهت بسرعة إلى النافذة ، ورأته يقفز إلى سيارته ، وينطلق بها مسرعًا ، فمطّت شفتيها ، مغمغمة فى مرارة :
ـ فليكن يا (أكرم) .. اذهب إليهم .
وعادت الدموع تنهمر من عينيها ..
وبمنتهى الغزارة .
أما هو ، فقد انطلق بالسيارة بأقصى سرعة ، متجاوزًا كل قواعد المرور ، وقلبه يخفق فى قوة .

إنه عضو فى الفريق ..
ولن يتنازل عن موقعه هذا قط .
مهما كان الثمن .
انطلق أحد رجال المرور خلفه ، مطلقًا بوق درّاجته الآلية المميّز ، وزاد من سرعته ليجاوره ، ويهتف به فى صرامة :
ـ إنك تتجاوز السرعة المقرّرة قانونًا .
أبرز (أكرم) بطاقته الرسمية ، هاتفًا :
ـ المخابرات العلمية يا رجل .. فى مهمة رسمية .. قيادة السلاح الطبى .
حدّق الرجل فى البطاقة لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ اتبعنى .. سأفسح لك الطريق .
وانطلق رجل المرور بدرّاجته الآلية ، وخلفه (أكرم) بسيارته ، حتى بلغا مقر قيادة السلاح الطبى ، فاتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف بصوت متحشرج مختنق :
ـ رباه ماذا حدث هنا ؟!
كان المكان يكتظ بفرق الإنقاذ والإطفاء العسكرية ، على نحو يوحى بحدوث كارثة ما ، مما جعل (أكرم)

يثب من سيارته ، ويعدو نحو أحد رجال الإنقاذ ، ليسأله فى توتر عصبى :

ـ ماذا حدث ؟!

أشار الرجل إلى النيران ، المشتعلة ، قائلاً :

ـ شىء ما انفجر هنا ، ومن الواضح أنه انفجار عنيف للغاية ، فقد اشتعلت النيران فى مبنى القيادة كله .

اتسعت عينا (أكرم) مرة أخرى فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! وهل .. هل أمكنكم إنقاذ من بالداخل ؟!

حدَّق الرجل فى وجهه ، كما لو أنه يواجه معتوهًا ، وقال :

ـ إنقاذ مَنْ ؟! هل فقدت قدرتك على التمييز يا رجل .. مع شىء كهذا يستحيل وجود أحياء .. أى أحياء .

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، كما لو أن جسده قد تلقَّى صاعقة قوية ..

فرجل الإنقاذ على حق تمامًا فيما يقول .

تلك النيران الرهيبة ، لا يمكن أن تترك خلفها أحياء .

أى أحياء .

★ ★ ★

٨ - الضحايا ..

توقَّف (رمزى) قبل ثوان من الانفجار ، ليعاون الدكتور (سمير) على النهوض ، ورأى (نور) يعود إليه ، هاتفًا :

ـ أسرع باللّه عليك ، القنبلة سوف ..

وقبل أن يتّم عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، نسف المعمل ، بكل أجهزته وأدواته ومعدّاته ، وحطَّم جدرانه القوية ، كما لو أنها مصنوعة من الورق المقوّى ، وأطلق موجة تضاغطية هائلة ، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها الباب الفولاذى رحلة العودة إلى الإغلاق ..

وعلى الرغم من أنه قطع نصف رحلته بالفعل ، إلا أن القوة التضاغطية العنيفة ، التى عبرت الجزء المتبقى ، مع موجة من النيران ، انتزعت (نور) و (رمزى) والدكتور (سمير) من مكانهم ، وقذفتهم عبر القاعة ، إلى منتصف السلم ، الذى يقود إلى حجرة القائد ..

وارتطم الثلاثة بالسلالم فى عنف ، وتأوَّه الدكتور (سمير) فى ألم ، فى حين لم ينبس (رمزى) ببنت شفة ، على الرغم من النيران ، التى علقت بسترته .

وفى صعوبة ، نهض (نور) هاتفًا ، وهو يطفئ النيران بسترته :

- (رمزى) .. أأنت بخير ؟!

ولكنه لم يتلقَ منه جوابًا ، فى حين هتف الدكتور (سمير) فى انفعال :

- لقد توقَّف لإنقاذى .. لقد خاطر من أجلى .

انحنى (نور) يحمل (رمزى) فى سرعة ، وهو يهتف :

- أسرع بالله عليك يا دكتور (سمير) .. إنه ليس انفجارًا واحدًا على الأرجح .

نهض الدكتور (سمير) فى صعوبة ، مع الألم الذى يشعر به فى كاحله ، وصعد فى درجات السلم فى سرعة نسبية ، مقاومًا آلامه ، فى حين وثب (نور) بحمله عبْر المسافة المتبقية ، و ....

ودوى الانفجار الثانى ..

وفى هذه المرة ، دفعهما الانفجار أمامه لأربعة

أمتار كاملة ، وخرجت بعده كرة من النيران ، سبحت لحظة فى سماء حجرة القائد ، قبل أن تتلاشى بفرقعة قوية ..

وفى صعوبة ، نهض (نور) ، وهو يشعر بآلام مبرحة ، فى كل عظمة من عظامه ، وعاد يحمل (رمزى) ، هاتفًا :

- دكتور (سمير) .. أين أنت ؟!

كان الرجل ملقى عند باب الحجرة ، فاقد الوعى بدوره ، وآثار الشظايا الصغيرة واضحة على سترته وسرواله ..

وعلى الرغم من آلامه وجراحه ، راح (نور) يجذب جسدى (رمزى) والدكتور (سمير) ، بكل ما تبقى فى جسده من قوة ، وهو يهتف :

- ساعدنى يا إلهى ! عاوننى على إنقاذهما ..

ولكن الانفجار الثالث انطلق فى قوة ، وأطلق موجته التضاغطية كلها فى صدره ، فاقتلعته من مكانه ، ودفعته أمامها لثلاثة أمتار أخرى عبر باب الحجرة ، إلى قاعة الانتظار الخارجية ، قبل أن تسقطه أرضًا فى عنف ..



وعلى الرغم من آلامه وجراحه ، راح (نور) يجذب جسدى (رمزى) والدكتور (سمير) ، بكل ما تبقى فى جسده من قوة ..

وفى هذه المرة ، هاجمته غيبوبة عنيفة ، راح يقاومها فى بسالة مدهشة ، وقوة إرادة بلا حدود ، محاولاً العودة إلى حجرة القائد ، لإنقاذ رفيقيه ..

ولكن قدميه عجزتا عن حمله ، على الرغم من محاولاته المستميتة ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، ودارت به الأرض ، فهتف :

ـ النجدة .. فليساعدنا أحدكم .. النجدة .

أطلق هتافه ، وهوى أرضًا ، وهو يلهث فى عنف ، ويقاوم تلك الغيبوبة اللعينة بكل قوته ، و ...

وفجأة ، شعر بوقع أقدام من حوله ، وسمع صوت القائد يهتف :

ـ أنقذوهم .. أسرعوا .. ما زال هناك انفجاران آخران .

ثم أمسكت به أياد قوية ، وحملته حملاً ، فهتف فى ضعف :

ـ (رمزى) .. الدكتور (سمير) .. أنقذوهما .

وتهاوى صوته مع عقله فى غيبوبة عميقة ..

وكان آخر ما سمعه دوى انفجار جديد ..

وعنيف ..

ثم أظلمت الدنيا كلها ..

وأضاءت ..

بالنسبة لـ (نور) ، كان الفارق بين إظلامها وإضاءتها ، هو نفس الفارق بين السطرين ..

لقد فقد وعيه ، ثم استعاده بغتة ، ليجد نفسه راقدًا على فراش صغير أبيض ، داخل حجرة مستشفى ، وإلى جواره زوجته (سلوى) ، تحتضن كفه براحتيها فى حنان ، ودموعها تغرق عينيها ، فى حين يطلّ عليه (أكرم) ، الذى يقف إلى جواره ، قائلاً بابتسامة متوترة :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .. لا يمكنك أن تتخيَّل حالة الهلع والذعر التى أصابتنى ، عندما أخبرنى رجل الإنقاذ أنه لا يوجد أحياء بعد الانفجار ، ولكن قائد السلاح الطبى ظهر فى اللحظة التالية ، وأخبرنا أن رجاله أنقذوكم جميعًا .

كان (نور) يشعر بدوار عنيف ، إلا أنه تشبَّث بيد (أكرم) ، واعتدل ليسأل فى قلق بالغ :

ـ أين (رمزى) ، والدكتور (سمير) ؟!

أجابه (أكرم) بنفس الابتسامة المتوترة :

ـ الدكتور (سمير) بخير والحمد لله ، ولقد تعافى من إصاباته تقريبًا ، ويرفض بشدة البقاء تحت الملاحظة ، كما ينصح الأطباء ، ويصرّ على العودة إلى معمله ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، لاستكمال بحثه عن مصل واق من ذلك الفيروس اللعين .

سأله (نور) فى قلق أكثر :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

تبادل (أكرم) و (سلوى) نظرة متوترة ، انهمرت بعدها دموع الأخيرة فى حرارة ، جعلت (نور) يهبّ جالسًا ، ويهتف :

ـ رباه ! هل أصابه مكروه ؟!

أجابه (أكرم) بسرعة :

ـ كلاً .. (رمزى) بخير .. إنه فاقد الوعى ، فى قسم الرعاية المركزة ، نظرًا لعنف إصاباته ، إلا أن الأطباء يؤكدون أنه قد تجاوز مرحلة الخطر ، ولن يلبث أن يتعافى .

أدار عينيه بينهما فى توتر ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ماذا هناك إذن ؟ لا يمكن أن يكون العالم قد بلغ نهايته ، لمجرد أننى فقدت الوعى لبضع دقائق :

بكت (سلوى) فى حرارة أكثر ، فى حين غمغم (أكرم) :

ـ ليست بضع دقائق يا (نور) .. إنك فاقد الوعى ، منذ ما يقرب من ساعتين كاملتين .

هتف (نور) فى انزعاج أقرب إلى الذعر :

ـ ساعتين كاملتين ؟! رباه ! كيف تسمحون بإضاعة كل هذا الوقت ؟!

أطلق هتافه ، وهو يثب من فراش المرض ، ويلتقط سترته ، متابعًا :

ـ لم يعد أمامنا إذن سوى ثمانى ساعات ، ولا يمكننا أن ...

قاطعته (سلوى) فى مرارة وألم :

ـ (نور) :

التفت إليها بسرعة ، فتدفَّقت دموعها كالسيل ، وهى تقول :

ـ إنها (نشوى) .

انتفض جسده كله فى عنف ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يقول بصوت اختلطت خشونته باضطرابه :

ـ (نشوى) ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تناوله تلك البطاقة ، التى تحوى رقم الهاتف ، فى حين وضع (أكرم) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ سأشرح لك كل شىء ..

واستمع إليه (نور) واجمًا ، دون أن يقاطعه بحرف واحد ..

وتصاعد الغضب والتوتر فى أعماقه ..

تصاعدا إلى الذروة ..

* * *

ارتفع حاجبا الدكتور (مجدى خليل) فى دهشة حقيقية ، عندما رأى الدكتور (سمير حافظ) يدلف إلى المعمل ، مرتديًا زيه الواقى ، على الرغم من الضمادة التى تغطى نصف جبهته العريضة ، وهتف ، وهو يستقبله فى حرارة :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا دكتور (سمير) .. الواقع أننى لم أتوقَّع أبدًا عودتك إلى العمل بهذه السرعة :

اتخذ الدكتور (سمير) مقعده ، أمام المجهر الأيونى ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليست لدينا دقيقة واحدة نضيعها يا رجل .. ذلك

المجنون خفَّض المهلة إلى عشر ساعات فحسب .

ارتفع حاجبا الدكتور (مجدى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ عشر ساعات ؟!.يا له من مجنون حقيقى !

قال الدكتور (سمير) ، وهو يطالع شاشة المجهر :

ـ مجنون وبالغ الخطورة أيضًا .

ثم سأله الدكتور (مجدى) فى اهتمام :

ـ ما آخر التطورات ، خلال الساعتين الماضيتين ؟

أجابه الدكتور (مجدى) فى اهتمام بالغ :

ـ تطورات مدهشة للغاية يا دكتور (سمير) .. الفيروس الذى تم عزله ، فى وسط غير حيوى ، توقَّف فجأة عن التكاثر .

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟! هل فعلها حقًا ؟!

أومأ الدكتور (مجدى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. كان يواصل تكاثره على نحو طبيعى للغاية ، بالنسبة للجزء البكتريولوجى منه ، ثم فجأة ، توقَّف عن التكاثر ، وتحوَّل إلى مادة متبلِّرة ، مثل أى فيروس عادى .

اعتدل الدكتور (سمير) ، يسأله فى لهفة :

ـ هل درست الظروف ، التى دفعته إلى هذا ؟

أجابه الدكتور (مجدى) ، وهو يضغط زر استعادة الشريط المسجَّل ، لعملية التكاثر الفيروسية :

ـ لم يتغيَّر أى شىء على الإطلاق .. كل الفيروسات التى تكاثرت ، كانت داخل الوسط نفسه ، ثم توقَّفت بغتة عن التكاثر ، دون سبب واضح .

هتف الدكتور (سمير) :

ـ رباه ! هذا تطوَّر مهم للغاية يا دكتور (مجدى) ، ولابد من دراسته بمنتهى العمق والاهتمام .

أشار الدكتور (مجدى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ السؤال هو : ما الذى ينبغى دراسته بالضبط ، بالنسبة لفيروس توقَّف فجأة عن تكاثر ، كان يتمَّ أساسًا ، على نحو يخالف طبيعته المعروفة ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى سرعة ، بحكم خبرته :

ـ الأجيال المتتالية ، الناتجة عن عملية التكاثر .. سنفحص الحمض النووى لكل جيل على حدة ، ونقارن بين الجيل الأوَّل ، والأوسط والأخير ، بحثًا عن السبب الذى منع الفيروس فجأة من التكاثر .

قال الدكتور (مجدى) :

ـ لاحظ أن هذا سيستغرق الكثير من الوقت .

أجابه فى حزم :

ـ فلنبدأ على الفور إذن ، حتى لا نضيع لحظة واحدة .

ابتسم الدكتور (مجدى) ، قائلاً :

ـ على بركة الله ..

وبدأت عملية الفحص ..

أخطر عملية فحص فيروس ، فى تاريخ العالم كله .

* * *

رقدت (نشوى) على الفراش الصغير ، فى ركن الحجرة ، متظاهرة بالنوم ، وعيناها تتسللان من بين أجفانها نصف المغلقة ، لتفحصا سقف الحجرة وأركانها فى حذر ..

كانت تخشى وجود آلات مراقبة دقيقة ، فى مكان مَا من الحجرة ، تراقب كل خلجاتها وسكناتها ..

ولكن شيئًا مما حولها ، لم يكن يوحى بهذا قط ..

لذا ، فقد تسللت فى خفة من فراشها ، وأسرعت إلى جهاز التلفاز التقليدى ، وأدارته ، ثم انتزعت غلافه الخلفى ، وراحت تفحص مكوناته بنظرة خبيرة ، مغمغمة :

ـ تركيب بدائى بسيط ، ولكنه يحوى كل ما أحتاج إليه تقريبًا ، ولو أضفنا مسماعى جهاز الموسيقا ، فسوف ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما سمعت ذلك الجزء من الحائط يتحرَّك ، وأسرعت تعيد الغلاف الخلفى إلى التلفاز ، وتديره بحركة متوترة ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها (سام) إلى الحجرة ، وقال فى صرامة :

ـ ماذا تفعلين ؟!

استدارت إليه فى توتر ، قائلة :

ـ أحاول تشغيل التلفاز .. أم أن هذا محظور ؟

رمقها بنظرة صارمة طويلة ، وكأنه لم يصدِّق حرفًا واحدًا مما نطقته ، فارتبكت بشدة ، وقالت فى عصبية :

ـ ألا يمكننى حتى الحصول على بعض التسلية .

صمت (سام) لحظة أخرى ، ثم غمغم :

ـ بل يمكنك هذا بالتأكيد .

وألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يضيف :

ـ هل تعتقدين حقًا أن والدك يمكن أن يضحى بك ، فى سبيل وطنه ؟!

ازدردت لعابها ، مغمغمة :

- لو اضطر لهذا .

نطقتها بصوت مبحوح ، من فرط انفعالها ، فهى ، وإن كانت تشعر بالفخر والزهو بوالدها ، إلا أنها ، كأية أنثى ، تتمنى من أعمق أعماقها ، لو أنه فضّلها على الدنيا كلها ..

وهى تخشى لحظة الاختيار ..

تخشى أن يختار والدها (مصر) ، ويضطر للتضحية بها ..

تخشى أن تكشف فجأة ، أنها لا تحتلّ من حياته أكثر من المرتبة الثانية ..

وهذا يفزعها ..

ويثير ذعرها إلى أقصى حد ..

كما أنها تشعر بالشفقة تجاه والدها ، عندما يجد نفسه فى هذا الموقف العصيب ، أمام خيارين خيرهما مُرّ ..

إما وطنه ..

أو ابنته ..

وياله من موقف !

وخلال اللحظات التى استغرقها تفكيرها هذا ، كان (سام) يرمقها بنظرات فاحصة متفرّسة ، وكأنما يحاول قراءة أفكارها أو سَبْر أغوارها ..

ولقد انتبهت فجأة لنظراته هذه ، فاحتقن وجهها ، وقالت فى عصبية :

- ماذا هناك ؟!

أجابها فى برود ، وهو يجلس على ذلك المقعد ، فى الركن المظلم :

- ألقى على نفسى السؤال ذاته ، الذى يتردّد فى ذهنك .. ترى أيهما يختار المقدّم (نور) ، إذا ما جدّ الجدّ ؟! ابنته أم وطنه ؟!

أدهشها قوله حتى النخاع ، وقالت محاولة إخفاء حقيقة مشاعرها :

- لم يكن هذا ما أفكّر فيه .

ارتسمت على ركن شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- حقًّا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الصغير فى جيبه ، فالتقطه فى لهفة ، وقال :

- من المتحَدث ؟!

أتاه صوت (نور) غاضبًا ، ثائرًا ، وهو يقول :

- أين ابنتى أيها الوغد ؟!

تألَّقت عيناه فى جذل لغضبه ، وابتسم فى ظفر ، مجيبًا :

- ابنتك فى الحفظ والصون يا سيِّد (نور) ، وسيسعدنى أن أعيدها إليكم سليمة معافاة ، عندما يتمَ اتفاقنا .

سأله (نور) فى حدة :

- أى اتفاق ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

- مقايضة بسيطة أيها المقدِّم .. لن تكلِّفك الكثير .. ابنتك مقابل عينة فيروس صغيرة .

صمت (نور) تمامًا ، ولم يحر جوابًا لبضع لحظات ، ثم بدا صوته أكثر هدوءًا ، وهو يقول :

- ولماذا تسعى خلف تلك العينة ؟!

أطلق (سام) ضحكة ساخرة ، وهو يجيب :

- مجرَّد فضول .. حب استطلاع مرضى ... إضافة جديدة لعينات الفيروسات التى أجمعها فى ألبوم أنيق ، منذ عدة سنوات .

ثم اكتسب صوته صرامة مباغتة ، مع استطرادته :

- يا له من سؤال سخيف أيها المقدِّم ؟! أنت تعرف بالطبع لماذا أسعى خلف تلك العينة .

صمت (نور) بضع لحظات أخرى ، وقال :

- اسمع يا رجل .. إننا نبذل كل ما نبذله ، ونجاهد طوال الوقت ، دون نوم أو راحة ، فى سبيل هدف واحد .. أن نبيد ذلك الفيروس تمامًا ، ونقضى على كل أثر له ، على ظهر الدنيا ، ومنحك إياه يعنى ميول استعمارية جديدة ، و ...

قاطعه (سام) فى حدة :

- هل تلقى علىَّ محاضرة فى التاريخ ، أم فى الاستراتيجية العسكرية(*) أيها المقدِّم ؟! هل نسيت أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه لحظات فى توتر ، ثم لم يلبث أن قهقه ضاحكًا ، وهو يقول :

(*) الاستراتيجية : هى فن القيادة فى الحرب الشاملة ، على مستوى الدولة ، حيث يتم تنسيق الخطط العسكرية مع الخطط السياسية ، والإعلامية ، والاقتصادية ، وتستهدف الاستراتيجية تحقيق هدف قومى ، وتوصف بأنها الخطة العامة لحملة عسكرية كاملة .

ـ آه .. فهمت .. كدت تخدعنى أيها المقدَم .. أخبر زوجتك اللطيفة أن تدخر جهدها ، وأبلغها تحياتى وأسفى ، فهذا الهاتف مجهَّز بشبكة اتصالات معقَّدة للغاية ، تجعل تعقُّبه مستحيلاً :

أتاه صوت (نور) ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

ـ حقًا ؟!

انعقد حاجبا (سام) فى شدة أكثر ، وقال فى صرامة :

ـ سنكمل حديثنا فيما بعد .

وأنهى الاتصال فى عنف ..

وفى مقر القيادة ، التفت (نور) إلى زوجته (سلوى) بعينين متسائلتين ، فهزَّت رأسها ، مغمغمة فى مرارة :

ـ أنه يستخدم شبكة دولية عشوائية يا (نور) .

سألها فى قلق :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابته ، مشيرة إلى جهاز التتبُّع :

ـ يعنى أنه يستخدم جهاز هاتف متنقِّل ، تتبدَّل موجات بثه طوال الوقت ، بحيث تتنقَّل عبر شبكة

الأقمار الصناعية ، التى تغذى منطقة بأكملها ، مما يجعل تعقُّبه عسيرًا .

سألها فى اهتمام :

ـ عسيرًا أم مستحيلاً .

صمتت لحظة ، ثم أجابت فى حزم :

ـ لا يوجد مستحيل !.. كل ما نحتاج إليه هو اتصال آخر فحسب .

قال فى حسم :

ـ عظيم .

ثم ضغط أزرار الاتصال مرة أخرى ..

ولكنه لم يتلقَ جوابًا هذه المرة ..

لم يتلقَ جوابًا أبدًا ..

وفى أعماقه ، تصاعدت موجة من القلق والتوتُّر ، جعلته يقول فى عصبية :

ـ ذلك الوغد يعلم أننا سنحاول تعقُّبه .

غمغمت فى عصبية مماثلة :

ـ من الواضح أنه محترف .

زمجر (أكرم) ، الذى يقف صامتًا منذ البداية ، وتمتم :

ـ نحن أيضًا محترفون .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى تحقَّق الاتصال بغتة ، بين (نور) و (سام) وارتفع صوت الأخير من الهاتف دون صورته ، وهو يقول بلهجة ساخرة :

ـ قل لى أيها المقدَّم الهمام : أما زالت زوجتك تحاول تعقُّب الاتصال ؟!

كان (أكرم) يتوقع إنكارًا من (نور) ، إلا أنه فوجئ به يجيب فى صرامة :

ـ أنت تعلم أننا سنحاول .

اعتدل (أكرم) ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

أشار إليه (نور) بالصمت ، و (سام) يجيب :

ـ بالتأكيد .. هذا أمر طبيعى ، بالنسبة للمحترفين مثلنا ، ولو أنك أنكرت هذا لما صدَّقتك ، ولأيقنت أنك تسعى لخداعى .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وتمتم :

ـ رباه ! أنت عبقرى بحق يا (نور) .

مطَّ (نور) شفتيه دون أن يجيب ، وهو يُنصت فى اهتمام لـ (سام) ، الذى تابع فى صرامة شرسة :

ـ ولهذا ينبغى أن أحذِّركم يا رجل .. أنتم تواجهون تنظيمًا دقيقًا للغاية .

قال (نور) فى سرعة :

ـ تقصد أحد أجهزة المخابرات الأجنبية .

صمت (سام) بضع لحظات ، قبل أن يجيب بنفس الصرامة الشرسة :

ـ يمكنك أن تقول هذا .. وأن تفكِّر فيه أيضًا ، فأنت تعلم كمحترف أن نظام العمل فى أجهزة المخابرات لا يسمح بالتهاون أو التساهل ، وأن كل الأجهزة فى هذه الأيام ، تمتلك أحدث المعدات التكنولوجية ، على أرقى المستويات .

وازداد صوته صرامة وخشونة ، وهو يضيف :

ـ وهذا يعنى أنكم تستطيعون تعقُّب اتصالاتى ، كما نستطيع بدورنا معرفة هذا ، وكشف وجود أسلوب لتعقُّب اتصالاتنا .

قال (نور) فى هدوء عجيب :

ـ هذا صحيح .

أجابه (سام) فى غلظة :

ـ عظيم .. الشئ الذى ينبغى إضافته لهذه

المعلومات البسيطة ، هى أن ابنتك ما زالت فى قبضتنا يا سيِّد (نور) ، وهذا يمنحنا ، شئت أم أبيت ، نقطة تفوق ، تفتقر أنت إليها .. كما تمنحنا أيضًا القدرة على القيام بإجراءات صارمة ، للعقاب أو الانتقام .

شهقت (سلوى) فى ذعر ، وغمغم (أكرم) :

ـ يا للأوغاد !

أما (نور) ، فقد بذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على مشاعره ، وهو يقول :

ـ ما الذى تقصده بالضبط يا رجل ؟!

أجابه (سام) بلهجة قاسية ، صارمة ، شرسة :

ـ أقصد أن أمامك مهلة لا تتجاوز الخمس ساعات ، لتمنحنا عينة الفيروس أيها المقدَّم ، وإلا فلن ترى ابنتك ثانية قط ، كما أن كل محاولة منكم لتعقُّب الاتصال ، ستؤدى إلى أن تفقد ابنتك الفاتنة إصبعين من أصابعها .

اتسعت عينا (سلوى) فى رعب هائل ، وقفزت يدها تُغلق جهاز التتبُّع بحركة آلية ، وهى تهتف بصوت مكتوم :

ـ (نشوى) ... ابنتى .

وعضّ (أكرم) شفته السفلى فى غيظ وحنق ، فى حين التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول بغضب هادر :

ـ اسمع أيها الوغد .. لو أنك مسست شعرة واحدة من ابنتى (نشوى) ، فسوف ..

قاطعته ضحكة ساخرة عالية من (سام) ، قبل أن يقول :

ـ خمس ساعات ، فحسب أيها المقدَّم .. تذكَّر .. خمس ساعات .

ثم انقطع الاتصال دفعة واحدة ..

ولثوان ، ران على الحجرة صمت رهيب ثقيل ، قطعه صوت نحيب (سلوى) ، وهى تقول :

ـ ماذا سنفعل يا (نور) ؟!

تلاقى حاجبا (نور) ، وهو يلوذ بالصمت فى مرارة ، فكررَت :

ـ ماذا سنفعل ؟! ابنتنا فى قبضة هؤلاء الأوغاد ، ولا يمكننا حتى تحديد مكانها !

التفت إليها فى بطء ، وتطلَّع إليها لحظة فى

صمت ، فهتف (أكرم) فى حدة :

- كم أتمنى لو أضع يدى على هؤلاء الأوغاد .

نقل (نور) بصره إليه بنفس الصمت ، قبل أن يعود إلى زوجته ، قائلاً بصوت مختنق :

- هل سجّلت المحادثة الأخيرة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، قبل أن تقول فى توتر :

- ولكننا لا نستطيع تعقُّب الاتصال يا (نور) ، فمن الواضح أن هؤلاء الأوغاد لن يتورّعوا عن تنفيذ تهديداتهم .

غمغم :

- لن نفعل .

كان صوته مختنقًا ، يشفّ عن الانفعال العنيف ، الذى يبذل جهدًا خرافيًا لكبته فى أعماقه ، وهو يزدرد لعابه ، فى محاولة لترطيب حلقه الجاف ، قبل أن يتابع :

- أريد منك أن تفصلى ذبذبة صوت ذلك الرجل ، ثم تقومى بمقارنتها بكل الأصوات ، المسجَّلة فى ملفاتنا .. أريد معرفة ما إذا كان هذا الرجل أحد رجال المخابرات ، الذين احتكوا بنا فى الماضى أم لا .

سأله (أكرم) فى دهشة :

- وبِمَ يفيد هذا يا (نور) ؟

ازدرد (نور) لعابه مرة أخرى ، وأجاب :

- سنعرف على الأقل أى جهاز مخابرات نواجه ، ومن خصمنا بالتحديد .

وصمت لحظة ، حاول خلالها هضم انفعاله ، ثم تابع :

- إنه أحد المتخصصين فى عمليات الشرق الأوسط (*) ، وهذا سر إجادته للغة العربية على هذا النحو ، وربما كان ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو بغتة ، فالتفت إليه الجميع ، وضغط (نور) زره ، وهو يغمغم :

- أخشى أن ...

(*) الشرق الأوسط : منطقة استراتيجية واحدة ، تشمل (تركيا) ، و (إيران) ، و (العراق) ، و (سوريا) ، و (لبنان) ، و (فلسطين) ، و (الأردن) ، و (مصر) ، و (السودان) ، وشبه الجزيرة العربية ، و (إسرائيل) ، و (قبرص) ، وكلها تتشابه فى مناخها ، ونمطها الاجتماعى (إلى حد ما) .

وقبل أن يتابع ، ظهرت على الشاشة صورة الدكتور (هاشم) وهو يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ آه .. إذن فقد نجوت من انفجار (ت . ب ـ ٢٤) أيها المقدَم .. كنت أتوقَع هذا .. من الواضح أننى أحسنت اختيار الخصم ، الذى يتناسب مع عبقريتى الفذَة .

لم يكن (نور) فى مزاج يسمح بالمناورة والتحايل ؛ لذا فقد سأله مباشرة ، فى عصبية واضحة :

ـ ماذا تريد هذه المرة يا دكتور (هاشم) ؟!

بدا الغضب على وجه الدكتور (هاشم) ، وقال فى صرامة :

ـ إياك أن تتحدَث معى بهذا الأسلوب أيها المقدَم .

استفزَت عبارته (نور) ، وخاصة فى تلك الظروف ، وهمَ بالانفجار فى وجهه ، لولا سيطرته الخرافية على أعصابه ، والتى جعلته يقول فى هدوء :

ـ فليكن يا دكتور (هاشم) .. دعنى ألقى عليك السؤال بأسلوب آخر .. ما الذى ستخبرنا به هذه المرة ؟!

بدا الهدوء على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ أردت فقط أن أخبركم أن اللعبة الحقيقية لم تبدأ بعد :

أشار (نور) إشارة خفية لزوجته ، فعادت لتشغيل جهاز التتبُع ، وهو يسأل الدكتور (هاشم) :

ـ ماذا تعنى بأن اللعبة لم تبدأ بعد ؟!

أجابه على نحو ساخر :

ـ أعنى أن كل ما حدث ، حتى هذه اللحظة ، ليس سوى نوع من المزاح البسيط .

قال (نور) فى غضب :

ـ مزاح بسيط .. هل تعتبر مصرع سبعة من البشر مجرَد مزاح بسيط .

هزَ الدكتور (هاشم) كتفيه ، وقال :

ـ يمكنك اعتباره مزاحًا سخيفًا لو أردت ، ولكنه ، فى كل الأحوال ، لم يتجاوز بعد خانة المزاح .

مطَ (أكرم) شفتيه ، وتمتم :

ـ يا للحقير !

رمقه (نور) بنظرة متوترة ، وهو يخشى أن يلتقط الدكتور (هاشم) الكلمة ، فتثير جنونه ، وتدفعه إلى القيام بعمل أخرق عنيف ، فمط (أكرم)

شفتيه مرة أخرى ، وهو يعقد حاجبيه ، ويشيح بوجهه فى حنق ، فى حين قال (نور) بسرعة :

- مازلت أشعر بالدهشة ؛ لأنك تصف ما حدث بالمزاح .

مال الدكتور (هاشم) بوجهه نحو الشاشة ، قائلاً :

- عندما تبدأ المرحلة الثانية من اللعبة ، ستدرك جيِّدًا أن كل ما حدث حتى الآن ، لم يكن سوى ضرب من المزاح .

بدا التوتر على وجوه الجميع ، و (نور) يسأله :

- لماذا ؟! ما الذى تنوى فعله فى المرحلة الثانية ؟!

أطلق الرجل ضحكة ثانية مجلجلة ، وقال :

- لا تتعجَّل الأمور أيها المقدَّم .. انتظر حتى نصل إلى المرحلة الثانية ، وسترى كل شىء بنفسك .

سأله (نور) ، فى شىء من العصبية :

- ومتى نصل إليها ؟!

ابتسم الدكتور (هاشم) فى سخرية ، قائلاً :

- عندما يحين دورها .

مطَّ (أكرم) شفتيه فى ازدراء ، فى حين صمت (نور) لحظة فى غضب ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تدير اللعبة بأسلوب مختلف تمامًا هذه المرة يا دكتور (هاشم) ، فأنت ترفض الإشارة إلى أى شىء ، أو حتى منحنا ذلك الدليل التقليدى ، الذى يمكن أن يقودنا إلى الهدف ، أو ...

قاطعه الدكتور (هاشم) بغتة :

- خطأ أيها المقدَّم .

ردَّد (نور) فى حذر :

- خطأ ؟!

أجابه الدكتور (هاشم) فى سخرية :

- بالتأكيد .. فلو أنك أعملت عقلك بعض الشىء ، لكشفت أننى أمنحكم فى كل مرة إشارة إلى الضربة القادمة ، كما أمنحكم ما يمكن أن يقودكم إلى الهدف الأكبر .

وعاد يميل نحو الشاشة ، مستطردًا ، وهو يشير إلى رأسه :

- بقليل من الذكاء .

هتفت (سلوى) فجأة :

- يا إلهى !

فالتفت إليها (نور) بحركة حادة ، وعيناه تحملان


أشارت بيدها إشارة مبهمة ، وهى تجيب بصوت مرتجف :
ـ داخل المبنى .. إنه يتحدث من الهاتف الداخلى ..

تساؤلاً كبيراً ، جعلها تتابع فى ارتباك :

ـ إنه يتحدث من هنا يا (نور) .

انطلقت ضحكات الدكتور (هاشم) الساخرة ، وصورته تتلاشى بسرعة من شاشة الهاتف ، فهبَّ (نور) من مقعده ، هاتفاً :

ـ من هنا ؟! ماذا تعنين يا (سلوى) ؟!

أما (أكرم) ، فاتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، واستلّ مسدسه بسرعة ، هاتفاً :

ـ أين هو ؟!

أشارت بيدها إشارة مبهمة ، وهى تجيب بصوت مرتجف :

ـ داخل المبنى .. إنه يتحدَّث من الهاتف الداخلى ، فى الاستراحة الأولى ، داخل إدارة الأبحاث العلمية .

وكانت مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

ومذهلة .

★ ★ ★

٩ - كل الخطر ..

« الوقت يمضى بسرعة مخيفة يا سيادة الرئيس » .

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية العبارة ، فى توتر بالغ ملحوظ ، قبل أن يتابع ، وهو يشير إلى خريطة كبيرة :

- وبعد اختصار المهلة ، صار أمامنا أقل من ثمانى ساعات فحسب ، وفى الوقت نفسه لم يتوصَّل (نور) وفريقه إلى أية معطيات جديدة ، يمكن أن تفيدنا فى التوصُّل إلى الدكتور (هاشم) ، أو يعثر الدكتور (سمير) والدكتور (مجدى) على مصل واق من (هشيم) ، أو (هشيم - ٢) ، ولقد اقترح بعض الخبراء توزيع أقنعة واقية من الغازات ، على سكان بعض المناطق ، الأكثر تعرُّضًا للإصابة بالعدوى ، خشية أن يقدم الرجل على إجراء جنونى ، فيطلق فيروسه فى الهواء .

غمغم الدكتور (ناظم) فى توتر :

- لو فعلها حقًا ، فلن تفيد أية أقنعة .

انعقد حاجبا رئيس الجمهورية ، وهو يقول :

- إلى هذا الحد ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا فى أسف ، وقال :

- الفيروس الجديد يتكاثر فى سرعة مخيفة يا سيادة الرئيس ، وينتقل عبر الهواء ، و ...

أشار إليه الرئيس بالاكتفاء ، وهو يسأل القائد الأعلى :

- لماذا لم يتوصَّل (نور) وفريقه إلى جديد هذه المرة ؟!

تنهَّد القائد الأعلى ، قائلاً :

- إنهم يبذلون قصارى جهدهم فى الواقع ، ولكن الرجل يتحرَّك بأسلوب شديد التعقيد هذه المرة .

سأله رئيس الجمهورية :

- هل توصى باستبدالهم بفريق آخر ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- إنهم أفضل فريق فى الإدارة يا سيادة الرئيس ، وملفهم لا يحوى عملية فاشلة واحدة .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

ـ حتى هذه اللحظة .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة قلقة ، قبل أن يقول الأوَّل :

ـ سيِّدى الرئيس .. أخشى أن تفقد ثقتك بـ (نور) وفريقه ، فى هذه المرحلة الحاسمة من الصراع .

نهض الرئيس من مقعده ، قائلاً :

ـ المسألة ليست مسألة ثقة أو ارتياح أيها القائد .. إننا نمرّ بالفعل بمرحلة حاسمة ، ليس عَبْر صراعنا مع الدكتور (هاشم) فحسب ، وإنما عَبْر تاريخنا ، وتاريخ العالم أجمع .. وفى مثل هذه الظروف ، لا يكون هناك مجال للمجاملات أو التنازلات .. إننى أحتاج إلى نتائج حاسمة .. نتائج تجعلنى أعتقد ، مجرَّد اعتقاد ، أننا نمضى إلى الأمام ، ولا نقف ثابتين ، فى مواجهة خطر رهيب كهذا .

تبادل الرجلان نظرة أخرى سريعة ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) :

ـ امنحهم الفرصة كاملة يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس ، فى شىء من العصبية :

ـ ومتى تنتهى هذه المنحة بالضبط ؟! قبل أم بعد

انتشار الفيروس فى الهواء ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ مسألة انتشار الفيروس هذه تحتاج إلى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة أزيز جهاز الاتصال السرى المحدود ، فاختطف القائد الأعلى سماعته بحركة سريعة ، وقال فى قلق :

ـ من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت (نور) ، مفعمًا بالتوتر والانفعال ، وهو يقول :

ـ سيِّدى .. مر بإخلاء مركز الأبحاث العلمية على الفور .. إنه الهدف القادم للدكتور (هاشم) .

قفز الدكتور (ناظم) هاتفًا :

ـ مركز الأبحاث ؟! مستحيل !

وانعقد حاجبا رئيس الجمهورية فى شدة ، فى حين سأل القائد الأعلى (نور) فى انفعال :

ـ كيف عرفت هذا يا (نور) ؟! كيف ؟!

هتف (نور) :

ـ لا وقت للشرح يا سيِّدى القائد .. مُرَ بإخلاء المركز من العاملين فيه بأقصى سرعة .

أنهى القائد الأعلى الاتصال على الفور ، وضغط أحد الأزرار على سطح مكتبه ، قائلاً بلهجة آمرة ، حازمة ، صارمة :

ـ من القائد الأعلى إلى جميع العاملين فى مركز الأبحاث العلمية .. غادروا المركز على الفور ، طبقًا لخطة طوارئ الحريق رقم (٧) .. أكررّ .. غادروا المركز على الفور .. أكررّ .. غادروه على الفور .

قالها ، ثم انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، فهتف به الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

ـ ماذا حدث ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى توتر بالغ :

ـ لا يوجد اتصال بيننا وبين مركز الأبحاث .. لقد انقطعت الاتصالات هناك تمامًا ..

اتسعت عينا رئيس الجمهورية فى ذعر ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين اندفع الدكتور (ناظم) نحو الباب ، هاتفًا :

ـ لا .. ليس مركز الأبحاث .. ليس المركز ..

ولكن هتافه هذا ذهب أدراج الرياح ..

لقد ضرب الدكتور (هاشم) ضربته الجديدة ..

وكالمعتاد ..

بمنتهى البراعة ..

* * *

وثب (نور) عبر درجات السلم ، وهو ينطلق مع (أكرم) نحو مركز الأبحاث ، الملحق بإدارة المخابرات العلمية ، وقفز خلفه هذا الأخير ، قائلاً :

ـ ولكن كيف فعلها ؟! كيف بلغ مركز الأبحاث ، مع كل إجراءات الأمن المعقّدة هذه ؟!

أجابه (نور) لاهثًا :

ـ إنه ليس هناك بالتأكيد ، ولكن من الواضح أنه أعدّ كل شىء منذ البداية ، وقبل أن يعلن الأمر ، وأراهنك على أننا سنجد هاتف الاستراحة الأولى موصولاً بهاتف آخر خارجى ، بحيث تنتقل مكالماته من مكان ما إلى هاتف الاستراحة ، الذى يعيد بثّها إلينا .

هتف (أكرم) ، وهما يبلغان الممر الرئيسى ، الذى يقود إلى مركز الأبحاث :

ـ يا له من وغد !

أجاب (نور) ، وهو يبرز بطاقته الأمنية الخاصة :

ـ المشكلة أنه وغد عبقرى .

استوقفهما رجال الحراسة ، عند مدخل المركز ، فلوّح (نور) ببطاقته الأمنية الخاصة ، هاتفًا :
ـ أفسحوا الطريق .. مهمة أمنية على أعلى مستوى .
ولكن رجال الحراسة تجاهلوا البطاقة ، واعترضوا طريقه بأسلحتهم ، وقائدهم يقول فى صرامة :
ـ لا استثناءات .. الكل سيخضع للتفتيش طبقًا للأوامر ، مهما كانت الأسباب والمبرِّرات .
صاح فيه (أكرم) فى غضب :
ـ ماذا دهاك يا رجل ؟! ألم تتعرَّف المقدَّم (نور الدين) ؟!
أجابه الرجل بنفس الصرامة :
ـ بلى يا سيِّدى ، ولكن الأوامر هى الأوامر ، وهم يؤكدون أن الشخص المطلوب يمتلك وسيلة فعَّالة لتبديل ملامحه ، واتخاذ أية هيئة يشاء .
هتف (نور) فى حدة :
ـ هل تعلم كم تستغرق عملية التفتيش فى المعتاد يا رجل ؟! إنك ستنتهى منها حتمًا بعد فوات الأوان ، وبعد الـ ...

قاطعه الرجل فى صرامة جافة :
ـ لا تناقش يا سيِّدى .. نحن ننفذ الأوامر فحسب .
تبادل (نور) و (أكرم) نظرة سريعة ، ثم قال الأخير فى حزم :
ـ فليكن يا (نور) .. يبدو أننا مضطرون للعب الدور نفسه فى كل مرة .. هيا انطلق أنت على بركة اللّه .
قالها ، ودار على عقبيه بحركة مباغتة ، ليهوى على فك قائد فرقة الحراسة بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :
ـ واتركنى لهم .
تلقَّى قائد الفرقة اللكمة المباغتة ، فارتدّ إلى الخلف فى عنف ، وارتطم باثنين من رجاله الأربعة ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) نحو الرجلين الآخرين ، هاتفًا :
ـ سأختبر قوتى أمام قوتهما .
كان (نور) يدرك أن الموقف شديد الحساسية ، وأن (أكرم) ، مهما بلغت قوته ومهارته ، لا يمكن أن يصمد أمام أربعة من رجال حراسة المخابرات العلمية ، الذين تلقَّوا تدريبات قاسية مكثَّفة ، تجعلهم

أكفأ رجال الحراسة فى (مصر) كلها ، إلا أن الخطر الذى يهدد مركز الأبحاث أجبره على ألا يتوقف لمعاونته ، وإنما انطلق يعدو بكل قوته داخل المركز ، الذى انطلقت فيه صفارات إنذار قوية ، تعلن وجود دخيل لم يخضع للتفتيش الرسمى ، وبدأ أحد أبوابه القوية فى الهبوط ، ليغلق الطريق أمامه ، إلا أنه وثب إلى الأمام بكل قوته ، وانزلق أسفل الباب ، قبل أن يتمَ رحلة هبوطه ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، وعاد يعدو داخل المركز ، وسط حالة الذعر التى سادت المكان ، حتى بلغ الاستراحة الأولى للعلماء ..

واندفع ثلاثة من رجال الأمن يعترضون طريقه بعد ما بلغهم من قائد الحراسة عند البوابة ، فصرخ فى وجوههم غاضبًا :

- افسحوا الطريق .. ألا تقدرون ما يحدث ؟!

ولكن الرجال الثلاثة تجاهلوا صرخته تمامًا ، ورفعوا مدافعهم الليزرية فى وجهه ، وصاح أحدهم فى صرامة :

- لقد تجاوزت الأوامر .

لم يكن هناك أمل فى مناقشتهم أو مجادلتهم ، فى

هذه الظروف ، لذا فقد وثب (نور) إلى الأمام ، وركل أحد الحرَّاس الثلاثة فى وجهه ، ثم دار حول نفسه فى الهواء ، وركل المدفع الليزرى من يد الثانى ، و ...

ولكن الحارس الثالث تراجع فى رشاقة مدهشة ، وتفادى انقضاضة (نور) فى براعة ومرونة ، ثم أدار فوهة مدفعه الآلى نحوه ، هاتفًا :

- فليكن أيها المقدَّم .. أنت أردت هذا ..

وأطلق مدفعه الليزرى ..

وبلا تردُّد ..

* * *

أسبلت (نشوى) جفنيها لبعض الوقت ، متظاهرة بالنوم العميق ، ثم لم تلبث أن اختلست نظرة إلى المكان عبر أهدابها الطويلة ، قبل أن تثب عن فراشها فى خفة ، وتتجه نحو التلفاز ، وجهاز الاستماع الموسيقى ..

وفى سرعة ومهارة ، أدارت (التلفاز) ، وانتزعت لوحته الخلفية ، ثم راحت تعمل فى دوائره المضغوطة وأسلاكه ومستقبلاته ..

واستغرقها هذا العمل لنصف ساعة كاملة ، قبل أن تتراجع ، وتلقى نظرة واسعة على ما أنجزته ، مغمغمة :

- عظيم .. لو وجدت ما أحتاج إليه فى جهاز الاستماع الموسيقى ، فسيكتمل عملى فى نجاح .

قالتها ، واتجهت إلى جهاز الاستماع ، وراحت تحلّ أجزاءه فى سرعة ، وتوصل بعض أسلاكه بالتلفاز لربع الساعة ، وبعدها مسحت العرق المتصبِّب على جبهتها ، وتمتمت :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

تلفتت حولها فى قلق ، خشية أن يظهر (سام) فجأة ، ثم ضغطت زر تشغيل التلفاز ، قائلة :

- من الواضح أنكم لم تدركوا مدى مهارتنا أيها الأوغاد ، وإلا ما تركتم هذه الأجهزة البسيطة هنا ، فمع تعديل مدروس ، يتحوّل مؤشّر تغيير محطات التلفاز إلى جهاز بث متغيّر التردُّد ، ويمكننا استغلال الهوائى ، وسمّاعات جهاز الموسيقا ؛ ليصبح لدينا جهاز اتصال لاسلكى بدائى ، يفى بالغرض الذى صُنِعَ من أجله .

وفى مهارة مدهشة ، راحت تبث رسالة شفرية ، بوساطة جهازها البسيط ، إلى مقر قيادة الفريق ..

إشارة منتظمة ، تحمل اسمها ، مع نداء استغاثة (مورس) العالمى(*) ..

إشارة كل مهمتها أن تصل إلى والدها ووالدتها ، على نحو يسهل تتبُّعه ، ليمكنهما التوصّل إليها ، وتحديد موقعها ..

وهذا أقصى ما تطمح إليه .

وأفضل ما يمكن أن تطمح إليه .

والواقع أن فكرتها كانت بسيطة وعبقرية للغاية ..

لولا مشكلة واحدة ..

ففى قسم الاستماع الخاص ، فى مبنى السفارة الأمريكية ، التقط الرجال تلك الإشارة المنتظمة ..

وحدَّدوا مصدرها بمنتهى الدقة ..

وكان هذا مصدر الخطر ..

كل الخطر ..

* * *

(*) (صمويل موريس) : (١٧٩١ - ١٨٧٢م) : مخترع أمريكى ، عمل فى رسم اللوحات ، له أبحاث فى استخدامات الكهرباء ، وضع شفرة (موريس) ، الخاصة بإرسال واستقبال الرسائل التلغرافية ، عن طريق قفل وفتح دائرة التلغراف الكهربية بسرعة أو ببطء ، لإنتاج سلسلة من الرموز ، تتكون كلها من النقاط والشرط .

انقضَّ (أكرم) على رجال الحراسة فى حزم ، متصوِّرًا أنه يستطيع منعهم جميعًا من تعقُّب (نور) ، أو منع وصوله إلى الاستراحة الأولى لعلماء المركز ، ولكنه لم يكد يلكم أحدهم فى فكه ، حتى انقضَّ الثانى عليه ، وكبَّل ذراعيه بكل قوته ، فانزلق (أكرم) فى سرعة ، وهو يهتف :

- ليس بهذه السهولة يا رجل .

كان يجيد نوعًا من القتال الهمجى ، يطلقون عليه اسم (قتال الشوارع) ، وهو ذلك النوع من القتال العشوائى غير المنظَّم ، الذى يعتمد على الفطرة ، بأكثر مما يعتمد على الدراسة أو المهارة أو التدريب .

وكان هذا يكفيه فى الظروف العادية ..

وفى مواجهة المجرمين التقليديين ..

أو حتى بعض وحوش الغابة ..

ولكنه لم يكن يصلح قط ، مع فريق من رجال الحراسة ، على أعلى مستوى من الخبرة ، والحنكة ، والمهارة ..

لذا فقد تركه الرجل ينزلق ، ثم مال فى خفة ، وركل ساقيه من الخلف فى قوة ، على نحو أفقده

توازنه ، وجعله يسقط أرضًا ، فوثب نحوه حارس آخر ، وركله فى صدره ، فى حين انقضَّ عليه قائد الحراسة من الخلف ، وأحاط عنقه بذراعه ، هاتفًا :

- خسرت يا رجل .. كان ينبغى أن تدرك منذ البداية أن ....

« كفى .. »

انطلق الأمر بلهجة صارمة حازمة ، تجمَّد لها قائد الحراسة ، ورفع عينيه نحو مصدرها ، هاتفًا :

- سيادة الرئيس .

صاح به الرئيس فى غضب :

- تبًّا لكم .. أهذا أسلوبكم فى تنفيذ الأوامر ؟! مجرَّد تطبيق أعمى ، دون تفكير أو تمييز .

تخلَّى قائد الحراسة عن عنق (أكرم) ، وهو يقول فى ارتباك :

- معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكن الأوامر لم تستثن أحدًا .

هتف به الرئيس :

- سنناقش هذا فيما بعد .. والآن أفسحوا الطريق .. كل ثانية لها ثمن .

هبَّ (أكرم) واقفًا على قدميه ، وهو يهتف :

- أشكرك يا سيادة الرئيس .. لقد وصلت فى الوقت المناسب بالتأكيد .

أطلق هتافه ، وانطلق يعدو نحو المركز ، ووثب داخله ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها الحارس الثالث فوهة مدفعه الليزرى نحو (نور) ، فاستلّ مسدسه ، وقفز إلى الأمام ، وهو يطلق رصاصته ، هاتفًا :

- إياك يا رجل .

أصابت الرصاصة خزانة المدفع الليزرى ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الأشعة ، فانفجر الخزان ، وانحرفت الأشعة على نحو مباغت ، فأخطأت رأس (نور) بسنتيمتر واحد ، وصاح به (أكرم) :

- لقد أنقذت حياتك يا (نور) .. تذكَّر هذا .

هتف (نور) ، وهو يعدو نحو الاستراحة :

- سأتذكَّره .

انطلق (أكرم) يعدو إلى جواره ، و ...

واتسعت عيونهما فى ارتياع ..

فعلى بعد عشرة أمتار منهم فحسب ، كان باب الاستراحة القوى يُغلق آليًّا ، بناء على برنامج غير رسمى ، ليسجن داخلها اثنين من أفضل العلماء ..

وكان هذا يعنى أن الدكتور (هاشم) سيحقِّق نصرًا جديدًا ..

وخطيرًا ..

ولهذه الفكرة وحدها ، تدفَّقت دماء ملتهبة فى عروق (نور) ، وصرخ :

- لا .. ليس مرة أخرى .

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، عندما قفز (نور) قفزتين مذهلتين ، قطع خلالهما الأمتار العشرة ، التى تفصله عن الاستراحة ، وعبر بابها فى مرونة ، ثم دفع أحد العالمين خارجها ، و (أكرم) يصرخ :

- (نور) .. ماذا تفعل أيها المجنون .

ومع آخر حروف صرخته ، أكمل الباب رحلته ، وأغلق الاستراحة الأولى تمامًا ، وبداخلها أحد العلماء ، و ...

و (نور) ..

وفى اللحظة التاليـة مباشـرة ، تناهى إلى مسامع (نور) صوت انفجار مكتوم ، عند فتحة التهويـة ، فالتفت إليها فى حركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة .

فقد كان يدرك جيدًا ما يعنيه هذا الانفجار ، وما سيدفعه عَبْر فتحة التهوية ، إلى الاستراحة ، التى أصبح سجينًا داخلها ، مع أحد العلماء ..

الفيروس ..

فيروس الدكتور (هاشم صدقى) ..

الرهيب .

* * *

[انتهى الجزء الثانى بحمد اللَّه]

ويليه الجزء الثالث والأخير

(الرعب)

رقم الإيداع ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤



حرب الفيروسات

- هل لقى الدكتور (هاشم صبرى) مصرعه حقا؟ أم أنه يحمل للجميع مفاجأة العصر؟!
- من ذلك العميل السرى، الذى اقتحم الأحداث؟! وماهدفه بالتحديد؟!
- ترى هل يربح (نور) وفريقه تلك الحرب الجديدة.. (حرب الفيروسات)؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه، من أجل الأرض.. ومن أجل المستقبل..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

113



الثمن فى مصر ۲۰۰ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم: الرعب